الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

التخصص : أدب حديث و معاصر

مذكرة متممة لنيل شهادة ماستر

الموسومة بـ :

الاتجاه الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث

"قراءة في نماذج مختارة"

إعداد الطالبتان:

- صولة شيماء
- بوطبزة إكرام
-

إشراف الأستاذ (ة):

– زنير سعاد

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
زنير سعاد	أستاذ مساعد – أ –	مشرفا	جامعة 20 أوت 1955
سناني إلهام	أستاذ محاضر – أ –	رئيسا ومقررا	جامعة 20 أوت 1955
عمار مقدم	أستاذ مساعد – أ –	مناقشا	جامعة 20 أوت 1955

السنة الجامعية : 2022

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك و لا يطيب النهار إلا بطاعتك و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك و لا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جلّ جلاله

الحمد لله و الشكر على الختام ومسك الختام لهذا العمل المتواضع الذي أهديه:

إلى صاحبة القلب الحنون و مثال الصبر و التضحية ، إلى التي غمرتني بعطفها ، إلى من كان دعائها سر نجاحي و بلسم جروحي ، ومثلي في الحياة " أمي الحبيبة " حفظها الله

إلى مصدر العطاء و السند المعنوي و المادي ، إلى الذي رباني على الفضيلة و الأخلاق ، إلى الذي علمني أن العلم سلاح وكفاح و أن النجاح فوز و صلاح " أبي العزيز " حفظه الله

إلى أغلى هبة من الخالق إخوتي و أخواتي ، " وسيم ، أيوب ، يعقوب ، و الكتكوتة الصغيرة "إيمان " حفظهم الله و رعاهم

إلى صديقتي و رفيقة دربي الأقرب مني " شيماء " حفظها الله

إلى أستاذتي المحترمة و الفاضلة " زنير سعاد "

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة نجاحي

إكرام

الإهداء

اولا و قبل كل احمد الله عز وجل و اشكره على توفيقه لي في انجاز هدا البحث كما أهدي ثمرة جهدي و نجاحي:

إلى من ساندتني في صلاتها و دعائها ،إلى من سهرت الليالي تنير دربي ،إلى من تشاركني أفراحي و أحزاني ،إلى التي غمرتني بعطفها و حنانها، إلى أروع امرأة في الوجود "أمي الغالية".

إلى من علمني أن الدنيا كفاح سلاحها العلم و المعرفة ،إلى الرجل الذي لم يبخل علي باي شيئ ،إلى من سعى لأجل راحتي و نجاحي ،إلى أعز رجل رجل في الكون "أبي الغالي ".

إلى دعامتي في الحياة إخوتي و أخواتي "جلال ، نصير ، حسام الدين ، أحسن ، حنان ، نور الهدى " .

إلى كتاكيت عائلتي الخمس " معاذ ، عقبة ، أيوب ، عبد المعز ، سيدرة ، تقوى ".

إلى رفيقة دربي و صديقة عمري و أختي التي لم تلدها أمي ، إلى من شاركتني في انجاز هذا البحث " إكرام ".

إلى من تكرمت و تفضلت بالإشراف على بحثنا الأستاذة الفاضلة" زنير سعاد".

إلى كل من ذكره قلبي و نسيه قلمي أهدي عملي هذا .

شيماء

شكر و تقدير

الحمد و الشكر لله تبارك اسمه و تعالى رزقه و دامت نعمه هو الميسر الذي أبسد لنا عونه فاستقر البحث على شكل نبتغي فيه رضوانه .

في البدايه نشكر الله عزوجل الدي وفقنا في إنجاز هدا العمل المتواضع ، كما نبادل بتسجيل شكرنا الخالص و ثنائنا الصادق لأستاذتنا المشرفة " زنير سعاد" التي تفضلت و تكرمت بالإشراف على بحثنا ووسمت لنا معالم التوجيه فبارك الله في جهودها .

كم نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الكرام الذين لم يبخلوا علينا بالنصائح و التوجيهات طيلة مشوارنا الدراسي فبارك الله في الجميع و سدد خطاهم لكل خير .

مقدمة

مقدمة :

تختلف كتابات الشعراء باختلاف طبيعة الوسط الذين يعيشون فيه ، و تتنوع كذلك بتنوع المواضيع التي ينظمون فيها فمنها ما هي سياسية اجتماعية دينية ....رغبة منهم في إصلاح ما يمكن إصلاحه و لعل هذا ما عرف عن شعرائنا في الجزائر خاصة من عاشوا الحقبة الاستعمارية أو ما بعدها فهم أدرى بما أقدم عليه المستعمر الغاشم و هو يحاول القضاء على الثقافة الجزائرية و اقصائه لحق الفرد الجزائري في التعلم بغرض جعل الجزائر فرنسية لكن هذا الوطن الكبير أنجب خيرة الرجال سواء كانوا سياسيين أو مناضلين أو أدباء ، و ما يهمنا هو هذا الاخير حيث حاولوا بكل ما استطاعوا من قوة متخذين من القلم سلاحا لإزالة مختلف الظواهر و الآفات التي غرسها المستعمر في وسط المجتمع الجزائري .

فكان الوازع الديني الاساس الأول في عملية الكتابة بغية التأثير و التحكم في عملية اصلاح المجتمع و الخروج به من قوقعة الجهل و التخلف ، ومن خيرة ما انجبته الجزائر في مجال الكتابة الشعرية محمد العيد آل خليفة و محمد العيد الزاهري و الطيب العقبي ، هؤلاء الرجال الذين وهبوا حياتهم للجزائر وشعبها ومن هذا المنطلق ارتأينا أن نخصص لهم هذا البحث الموسوم بالاتجاه الإصلاحي في الجزائري الحديث "قراءة في نماذج مختارة" و ذلك بوصف هذه النماذج التي تجسد معالم الشعر الإصلاحي بكل أبعاده و خصوصا النزعة الإصلاحية النابعة من قلب الشاعر و صدقه فيها .

وكان وراء تبنينا لهذا الموضوع دافعان أحدهما ذاتي و الآخر مزضوعي ، أما الموضوعي فيتمثل في كون هذه النماذج عملا جزائريا يعكس جملة من المبادئ و الأخلاق التي يتحلى بها الشاعر الجزائري ، كما يتضمن مختلف الظواهر و الآفات الاجتماعية و الانحلال الخلقي السائدة في مجتمعنا خاصة بعد الاستقلال ، أما الذاتي يتجسد في رغبتنا الشديدة في دراسة نماذج شعرية لها علاقة بالجانب الأخلاقي و العقائدي .

و تكمن أهمية الدراسة في ابراز دور شعراء الحركة الإصلاحية في التصدي لمختلف قضايا الاستعمارية ذلك من خلال تبنينا لنماذج شعرية إصلاحية جزائرية .

و لتحقيق هذا الهدف انطلقنا من إشكالية مفادها ما هي الأسباب التي جعلت من الشعر في الجزائر ينحو منحا دينيا إصلاحيا ؟ وماهي أهم المواضيع التي تناولها الشعر الإصلاحي في الجزائر ؟ و ماهو دوره في أصلاح المجتمع ؟ و كيف تجلّى ذلك في أشعار شعراء الحركة الإصلاحية ؟ .

وقد حفي شعر هؤلاء الشعراء باهتمام كبير من قبل الدارسين و الباحثين لذلك عدة دراسات عالجت شعرهم منها:

- الصورة الشعرية عند محمد العيد آل خليفة لمبروك بن غلاب 1988.

- الاتجاه الإسلامي في شعر محمد العيد آل خليفة لمحمد بن عبد الرحمان .

- الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري لأحمد بلعجال 2006.

- الشيخ الطيب العقبي ودوره الإصلاحي لحنان عدوان 2012-2013.

- الطيب العقبي أديبا لكمال عجالي 1997-1998.

فهذه الدراسات لم تتطرق إلى الجانب البارز في شعرهم (النزعة الإصلاحية) و اهتمت بجوانب أخرى ،وللإحاطة بموضوع دراستنا قسمناه إلى مقدمة و فصلين و خاتمة .

أفردنا للفصل الأول تمهيدا تطرقنا فيه بالحديث عن الشعر الجزائري في العصر الحديث في ظل الاستعمار الفرنسي ، وكذلك خصصنا الذكر بالحديث عن الشعر الإصلاحي و دور جمعية العلماء المسلمين و رجالها في التصدي لأساليب المستعمر الغاشم و دعوتهم إلى الإصلاح من أجل تغيير ما لآل إليه وضع البلاد في تلك الفترة ، كما جاء الفصل

الأول تحت عنوان الاتجاه الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث النشأة و التطور و ينقسم بدوره إلى مبحثين جاء المبحث الأول تحت عنوان حركة الإصلاح في الشعر الجزائري الحديث تطرقنا فيه إلى مفهوم اللإصلاح و الحركة الإصلاحية و العوامل التي ساعدت في ظهورها و كذلك تجليات الفكر الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث و ارتباط الشعر بالفكر الإصلاحي و نظرة الإصلاحيين للشعر في الجزائر ، أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان الشعر الإصلاحي الجزائري الحديث تطرقنا فيه إلى نشأة الشعر الإصلاحي و رواده و موضوعاته الإصلاحية واهم خصائصه ، أما الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي يحمل عنوان تجليات النزعة الإصلاحية في الشعر الجزائري الحديث و ينقسم بدوره إلى مبحثين ، جاء المبحث الأول تحت عنوان تجليات النزعة الإصلاحية في شعر محمد العيد آل خليفة تطرقنا فيه إلى التعريف بالشاعر محمد العيد و كذلك نزعته الإصلاحية و أهم موضوعات شعره الإصلاحي و أهم خصائصه ، أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان تجليات النزعة الإصلاحية في شعر محمد السعيد الزاهري و الطيب العقبي تطرقنا فيه إلى التعريف بالشاعرين الزاهري ة العقبي و كذلك نزعتهما الإصلاحية وأهم موضوعات شعرهما الإصلاحية و كذلك خصائص شعرهم الإصلاحي ، اما خاتمة البحث تحتوي على أهم المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة .

و بالتالي كان لزاما علينا ونحن بصدد دراسة هذا الموضوع أن نقتصر على آليات منهجية محددة عللا اعتبار تعدد جوانب الموضوع ، فكنا نعتمد على بعض آلبات المنهج الموضوعاتي وذلك لأننا درسنا عدة نماذج شعرية في حين استعملنا آليات المنهج الوصفي التحليلي وذلك حيتما عمدنا إلى قصائد محمد العيد و الزاهري العقبي بالشرح و التحليل بغية اثبات نزعتهم الإصلاحية و مدى انعكاسها على أشعارهم .

و قد اعتمدنا في بحثا على عدة مصادر ومراجع:

-محمد العيد آل خليفة الديوان وهو يعتبر مصدر للدراسة وكتاب عبد الله الركيبي الشعر الديني الجزائري الحديث الجزء الثاني كما اعتمدنا على كتاب محمد ناصر الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته و خصائصه الفنية 1929-1975 وكذلك كتاب صالح خرفي الشعر الجزائري

الحديث ، إضافة إلى كتابين لأبو القاسم سعد الله .

كما واجهتنا في بحثنا عدة صعوبات و عراقيل أهمها صعوبة انتقاء المادة من المراجع التي اعتمدنا عليها في الدراسة و كذلك تعذر علينا الحصول على بعض المراجع التي تخدم بحثنا

و لا يفوتنا في هذا المقام أن نتقدم بالشكر و التقدير للأستاذة المشرفة " زنير سعاد " على ما قدمته لنا من جهد في سبيل إنجاح هذا البحث ، فلولاها ما وصل هذا العمل إلى الصورة التي يظهر عليها الآن ، كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا عناء قراءة هذا البحث و تقويمه و تقييمه

الفصل الأول

المبحث الأول : حركة الإصلاح في الشعر الجزائري الحديث

أولا : مفهوم الإصلاح و الحركة الإصلاحية

1-1 - لغة

1-2- إصطلاحا

2- مفهوم الحركة الإصلاحية

ثانيا : العوامل التي ساعدت في ظهورها

ثالثا : تجليات الفكر الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث

رابعا : إرتباط الشعر بالفكر الإصلاحي

خامسا : نظرة الإصلاحيين للشعر في الجزائر

المبحث الثاني : الشعر الإصلاحي الجزائري الحديث

أولا : نشأته

ثانيا : رواده

ثالثا : موضوعاته

1- **محاربة البدع و الخرافات**
2- **محاربة المستعمر**
3- **العروبة و الإسلام**
4- **الحث على العلم**
5- **محاربة الآفات الإجتماعية**

رابعا : خصائص الشعر الإصلاحي

تمهيد:

إن كل من يتبع الشعر الجزائري بوصفه واقعا فكريا و فنيا يرجع أن تكون الحركة الإصلاحية التي عرفتها البلاد في عهد الاستعمار وعلى طول امتدادها هي المسار الحقيقي من حيث مبناه على وجه الخصوص " فالشعر في ظلها استطاع أن يعيش اللحظة و الواقع بصفة عامة ، فكشف عن نوايا المستعمر المستبد ، و تتبع سير أعماله ونضجها كما وقف بالمرصاد للانحراف الديني الذي ساد فترة الاستعمار ، و طبيعي جدا أن يرتبط الشعر من جهة وإذا سلمنا بواقع البلاد الذي كان بحاجة إلى التغيير والإصلاح من جهة ثانية ، و من هنا اتجه الشعر إلى التركيز على فكرة الأحياء و كانت النظرة فيه سلفية تتجه الى الماضي الذي يمثل النموذج المحتذى " .[1]

فالدارس للشعر الجزائري في زمن الحركة الإصلاحية يجب عليه أن يربط بينه و بين سياسة الاستدمار الفرنسي و مشاريعه التي تهدف على جعل الجزائر تابعة لفرنسا جغرافيا و ثقافيا ، هذا الاستعمار الذي سخر جميع الوسائل و الإمكانات و تفنن في ابتكار الوسائل لتحقيق ذلك و أهم ما ركز عليه هو السيطرة الكاملة على ثروات البلاد و مواردها الطبيعية و التدمير اللغوي للشعر الجزائري و اشعاره أنه دون المستوى المحتل فوظف لذلك الكثير من مثقفيه و حضر نخبة مستلبة من أبناء الجزائر للقيام بذلك ، في مثل هذه الظروف التي آلت إليها الجزائر بعث الله للجزائر رجلا عقائديا مصلحا هو الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي نذر نفسه لبعث النهضة الفكرية في الجزائر مع مجموعة من كبار العلماء و الأدباء و الشعراء أسفرت مجهوداتهم عن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " التي كانت مبادئها و مواقف أعضائها تعطي صورة واضحة عن التمسك بثوابت الأمة الجزائرية ، و رفض الاحتلال و الإدماج

[1]– سعد الدين صلاح : احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، مكتبة رحاب ، الجزائر د ط ، دت ، ص 25 .

باسم الثلاثي المقدس الدين و الثقافة و الوطن فكانت أعمالها المطبوعة بطابع تربوي تثقيفي مدخلا إلى موقف سياسي ".[1]

و كان دور هذه الجمعية رياديا لم يسبق له مثال في تاريخ الحركة الوطنية و يتمثل ذلك في إثارة النخوة الوطنية و العزة القومية و تنمية الوعي الديني و الاجتماعي ، فأثرت الحياة الفكرية و الاجتماعية و السياسية بمفاهيم ما زالت تمد الحياة الجزائرية بمدد لا ينفذ من الطاقة الحية ، و الإدراك السليم للأمور ". [2]

إذن لقد كان لظهور الحركة الإصلاحية معادلا موضوعيا للظروف التاريخية التي مرت بها الجزائر واستجابة طبيعية لمتطلبات المرحلة بكل أبعادها وفق الظروف التي أنتجتها ، و قد تطورت مسيرة الحركة الإصلاحية تبعا للفعل التاريخي المتجدد الذي جعل منها حركة قوية مؤثرة ذات مناعة ، استعصى على المحتلين أن يفتوا عضدها و ينالوا منها لأنها استمدت حيويتها و فاعليتها من الشعب و قد اشتد ساعدها و تجدرت مبادئها لدرجة أصبحت فيها تمثل مركز المواجهة الشعبية فتحملت بشجاعة لواء التصدي الحازم لكل الفئات التي أوجدها الاستعمار معتمدة على الشباب و وقفت وراء كل نشاط حتى قال عنها الدكتور أبو القاسم سعد الله "فكانت جمعية العلماء المسلمين من الناحية الفكرية على الأقل عبارة عن دولة داخل دولة ، و كان العاملون فيها يحسون بكل صدق أنهم أناسا كالناس و العروبة ." [3]

[1]–نور سليمان : الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1988 ، ص 130.

[2]– محمد الصالح رمضان : جمعية العلماء و دروها العقائدي و الاجتماعي و الثقافي ، مجلة الثقافة ، و زارة الثقافة و السياحة ، الجزائر ، دط ، 1983 ، ص ص 359 ، 360 .

[3]– أبو القاسم سعد الله : أفكار جامحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1988 ، ص 49.

"سعت هذه الجمعية بروح عالية لفتح مئات المدارس و إنشاء المساجد و النوادي الثقافية والجمعيات الخيرية ، و لم تتوان في خوض حرب ضد الطرق الصوفية الموالية للاستعمار و كان للصحافة الدور الكبير في نشر أفكارها و طرح مبادئها ، فكانت بحق كما قيل عنها إذن فأنشأ جمعية العلماء المسلمين كان في الوقت المناسب وكان ضرورة قصوى تقضيها الظروف والتحديات ".[1]

و بذلك عبرت الجمعية عن أبعاد المرحلة التاريخية ، فجسدت الآمال التي التزمت بها وقطعت شوطا بعيدا في العمل لإعادة ثقة الإنسان الجزائري بنفسه بعد أن كان تائها يعاني آلام الخيبة و الانكسار و هيأت له ظروف العمل الجماعي ، فالطابع الذي غلب على الشعر الجزائري قبل بداية الحركة الإصلاحية كان طابعا دينيا صرفا لا يخرج عن هذا المفهوم إلا عند شعراء قليلين ، مما أضفى على الرؤية الشعرية رؤية لا تخرج في مضمونها وشكلها عن هذا الحيز الضيق ، فعندما بدأت النهضة الشعورية في ظل الحركة الإصلاحية كان لابد للشعر أن يكون صدى لواقعها وهو ما جعل الشعر الذي يظهر في العشرينيات و الثلاثينيات أكثر اهتمام بالموضوعات ذات الطابع الإصلاحي.

عرفت الجزائر الفكرة الإصلاحية مند نهاية القرن التاسع عشر و تأكد ذلك بصورة جلية خلال زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903 م ، حيث بدأت فكرة الإصلاح تتبلور على ارض الوطن وظهر ما يسمى بشعر المنابر الذي "كان أساسه الوعظ و الإرشاد و إصباغه يكثر فيها لفظ الإسلام و الإصلاح و السلف و مشاكلها ،كما أن أهدافه الإصلاحية ترمي إنماء الوعي الشعبي عن طريق الدين و المبادئ الخلقية فقد كان شعر المنابر أن يوضح أغراض هذه الحركة و يسوغها في أثواب دينية تستميل الشعب و تبعث فيه كما تفعل الكلمات المنبرية البحتة ". [2]

[1]- محمد الطيب العلوي : مظاهر المقاومة الجزائرية ، دار البحث ، قسنطينة ، الجزائر ، ط1 ، 1985 ، ص 110.

[2]- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الآداب ، ط2 ، 1988 ، ص 36.

و بمقتضى هذا الحال أصبح الشعراء ينظمون القصائد التي تتدرج ضمن إطار الشعر الديني الهادف إلى تحريض الأمة ضد الغزاة و حثها على الاعتصام بحبل الله و كان طيلة العصر الحديث الذي عايش أوضاعه كثير من الشعراء.

و قد شرعت جدوى الحس الإصلاحي تنفذ أكثر من ذي قبل في مطلع العشرينيات مم أشعل فتيل صراع فكري بين الفكر الوطني الإصلاحي القائم على العربية والإسلام و الجزائر وبين سياسة الاستعمار و الفكر الموالي له من جهة أخرى .

حيث شهد العالم العربي ظهور الحركة الإصلاحية بقيادة علماء و دعاة معادين للاستعمار الغربي ، و الذين سعوا جاهدين من أجل إصلاح المجتمعات العربية و الإسلامية و النهوض بها فيخلصونها من كل ما آلت إليه من انحطاط وضعف في الثقافة و ابتعاد عن الدين الإسلامي و نشر الوعي والحفاظ على مقوماتها و العمل على مجابهة الاستعمار.

المبحث الأول : حركة الإصلاح في الشعر الجزائري الحديث

تمهيد:

تعد حركة الإصلاح التي عرفتها الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي في الربع الأول من القرن الماضي و على طول امتدادها مسارا حقيقيا للشعر الديني الجزائري من حيث مبناه على الخصوص ، حيث اعتبرت هذه الحركة نقطة تحول بارزة في تاريخ الجزائر الفكري و الفني ، فالصراع بين حركة الإصلاح و الاستعمار هو صراع قائم على الخداع قبل أن يكون حربا استعمارية .

أولا - مفهوم الإصلاح و الحركة الإصلاحية :

تزخر المعاجم و القواميس و كتب اللغة العربية واللغات الأجنبية بمفاهيم كثيرة لعبارة الإصلاح ، كما أن العالم الإسلامي قد عرف قبل ظهور الشيخ محمد عبده والشيخ ابن باديس حركات إصلاحية كثيرة تسعى في مجملها العودة بالمسلمين إلى صدر الإسلام.

1ـمفهوم الإصلاح :

1-1 -لغة :

تعني لفظة الإصلاح هي نقيض الفساد حسب ابن منظور، ومادة الإصلاح مشتقة من الفعل صلح يصلح و يصلح و صلوحا و رجل صالح في نفسه من قوم صلحاء و أصلح الشيء بعد فساده أقامه" .[1]

[1]- ابن منظور : لسان العرب ، مادة(ص .ل.ح) دار صادر بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ج1 ، ص 516.

و قد جاء في معجم الفلسفة تعريف الإصلاح " بأنه إزالة الفساد في المجال الأخلاقي و الاجتماعي و الإصلاح الديني و إزالة البدع من العقيدة و الشريعة " .[1]

فالإصلاح مفهوم إسلامي و قد ورد ذكر هذا المصطلح في القرآن الكريم كقيمة جوهرية ، حيث وردت لفظة الصلح فيه 180 مرة بحيث تختلف لفظة الإصلاح في القرآن الكريم حسب مقام الآية يقول الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام "**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَّبِّي وَ رَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا اَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإصلاح مَا اِسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ** " .[2]

1-2 -اصطلاحا :

تعد كلمة الإصلاح من أهم ما احتوته الحضارة العربية الإسلامية على مدى تاريخها بل إن هذه الكلمة ليست غريبة على الإسلام نفسه ذلك لأن القران الكريم قد ساهم في نشر فكرة الإصلاح بين الجماعة الإسلامية.

إذ تعود أصول حركة الإصلاح إلى تعاليم الإسلام نفسه ، فمفهوم الإصلاح عند جمال الدين الأفغاني "هو إصلاح العقول والنفوس أولا ، ثم إصلاح الحكومة و ربط ذلك بالدين ويرى إن إصلاح الحكومة يكون عن طريق إصلاح الشعب". [3]

[1]- أحمد عيساوي ، الفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي ، أشغال الملتقى الوطني الرابع للفكر الإصلاحي في الجزائر ، الجمعية الثقافية للعربي التبسي ، د ط ، د ت ، ص54 .

[2]- سورة هود : الآية 88

[3]. أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، مكتبة النهضة ، المصرية القاهرة ،مصر، ط 3 ، دت، ص 63.

و يعرف الأستاذ محمد طهارة الإصلاح بـ "أما الإصلاح بالمعنى المقصود فيه هذا البحث انه يدل على يقظة ووعي الشرق بالنسبة لأغلبية زعماء الإصلاح لأنهم كانوا يستشعرون بالآلام ويدركون الأخطار المحيطة بهم"[1].

و من خلال التعريفات السابقة فالإصلاح يهدف إلى تحسين الشيء و الانتقال به من حالة ما هو عليه إلى حالة أفضل.

2- مفهوم الحركة الإصلاحية :

الحركة الإصلاحية مبدأ اعتنقته جماعة و تناسق لنصرته و نشره و الدعاية له والعمل على عقيدة وشكل له نظام وخطة مرسومة وهدف مقصود وكثيرا ما يعرف "بأنها نشاط ديني ثقافي والتقويمي بهذا الإصلاح ، و هذا ما أعرب عنه دعوات حركات إسلامية ، و انبثقت من داخل العالم العربي الإسلامي في العصور الحديثة و حددت أهدافها ضمن محاولات تجديد و إحياء الحضارة الإسلامية التي تواجه العالم الإسلامي بشتى الوسائل الحديثة ." [2]

يقول البشير الإبراهيمي في هذا السياق "تهدف الحركة الإصلاحية اصح المجتمعات وتغيير حالتها وإخراجها من حالة التخلف و الجهل ، إلى التقدم نحو التجديد و التقدم و إحياء الحضارات العربية الإسلامية.

حيث تعود جذور الحركة الإصلاحية في الجزائر لروافد من الشرق العربي الإسلامي ، وأعمق الحركات هذه من علماء ومفكرين سار على منهاج هذه الحركة من علماء المعاهد الإسلامية الشهيرة في المشرق والمغرب وقد خدم هذه الحركة

[1]- بشير بلاح : مواقف الحركة الإصلاحية من الثقافة الفرنسية (1926 – 1939) عالم المعرفة ، الجزائر دط ، دت ، ص 18.

[2]- المرجع نفسه : ص ص 15- 16

من أبناء الوطن منهم ابن باديس ، الزاهري.....، لم تكن حركة نخبة مثل غيرها التي سبقها و إنما هي حركة إصلاحية بلغت آمال و آلام الشعب الجزائري و استهدفت أول الأمر حياته و نهضته ".[1]

"جاءت الحركة الإصلاحية في الجزائر متمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على هيئة من اجل إحياء العقيدة الإسلامية والسير على السلوك الصحيح والأخلاق الخالصة الخالية من الشوائب ومحاربة البدع و الخرافات التي لحقت بالدين و العمل على إحياء السنة النبوية و بعث نهضة أدبية و فكرية "[2].

و قد لعبت الحركة الإصلاحية في الجزائر دورا هاما في بعث الروح الوطنية و الحفاظ على عناصر الهوية ، و أحدث جيلا بحق من النخبة المثقفة ،حيث ركزت الحركة على الجانب الديني في ثورتها الفكرية و مهمتها الإصلاحية عامة و لهذا السبب ارتبطت الثورات في تاريخ الإسلام ببعث روح الدين في حياة الناس لأنها المحرك الحقيقي بوجودهم.

ثانيا –العوامل التي ساعدت في ظهور الاتجاه الإصلاحي :

لقد كان لميلاد فكرة الإصلاح التي بدأت شمسها تشرق على الجزائر في مطلع هذا القرن الأثر البالغ في حياة الفرد الجزائري ، الذي كان غارقا في بحر التخلف و الجهل تحت حكم استعماري جائر ، وقد كان لظهور هذه الفكرة قبل و غداة الحرب العالمية الأولى وقد ساعدت في ظهور هذا الاتجاه عاملين أساسين هما:

[1]– أحمد عيساوي : الفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي ، ص ص 44– 45.

[2]–كمال عجالي : الفكر الإصلاحي في الجزائر ، الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة و التجديد ، دار النشر للنشر والتوزيع ، دط ، 2005 ، ص ص 34 – 368.

1- الظروف الدينية والاجتماعية و السياسية :

و التي طبعت العامة في الجزائر والتي كانت سببا في ظهور الشعر الإصلاحي ، ففي منتصف الثلاثينيات بدأ الشعب الجزائري الحياة يستيقظ من سباته ويبحث عن الطريق الذي يقوده إلى النجاة ، وكان هذا الطريق هو العودة إلى الدين الإسلامي الصحيح ، مم أدى بسبب الدعوة إلى هذا المنبع النقي إلى إصدام بين رجال الإصلاح و بين الطرقيين و المستعمر ودخل الشعر في هذه المعركة بوجه سافر ، وكان الطريقين تتهاوى تحت ضربات الشعراء الذين حملوا لواء هذهالدعوة ".[1].

2- ظهور الحركة الإصلاحية :

حيث أضحت عاملا قويا في ظهور هذا الاتجاه لان أغلبية الشعراء الدين ظهروا في هذه الفترة إنما كانوا يحملون الفكرة الإصلاحية ، و قد لمح لذلك الأستاذ الركيبي قائلا :" هذه الأفكار من تجنيس و اندماج و ما صاحبها من العودة إلى التبشير و محاولة التفرقة بين العناصر التي تشكل الجزائري بعامة ، ترددت لأني الجزائر و حدها ، بل في المغرب و تونس أيضا و تبلورت بشكل واضح أثناء احتفال فرنسا ، بمرور قرن على احتلالها الجزائر كل هذا أدى إلى أن تظهر الفكرة الإصلاحية لتصارع هذه التيارات الأجنبية وتدافع عن الشخصية القومية وعن الحضارة العربية الإسلامية ".[2]

[1]- الوناس شعباني : تطور الشعر الجزائري الحديث من 1954 إلى 1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ط ،1988 ، ص 25.

[2]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، د ط ، 1980 ،ج2 ، ص36.

و هكذا أصبح الشعر وسيلة شريفة تخدم المشروع الإصلاحي و يقرر ذلك عبد الله الركيبي بقوله" ارتباط الشعر بالفكر الإصلاحي جاء لظروف إحاطة بالأدب والثقافة وبسبب عوامل أحاطت بالفكر و المجتمع و السياسة فأثرت في الشعور ووجهته لخدمة هذا الفكر ".[1]

ثالثا –تجليات الفكر الإصلاحي في الشعر :

وجب التنويه بداية أن رواد هذه المدرسة قالوا كلمتهم و رأيهم في معظم الأمور ذات الشأن و العلاقة بقيم و مثل و تطلعات المجتمع الجزائري و بهذا يمكن تحديد ميدانين حساسين هامين جاء فيهما شعراؤنا فأثرى لديهم إنتاجا شعريا عزيرا زاخرا.

1– المجال الاجتماعي:

حيث يتجلى الجانب الديني كسمة غالبة على الشعر الإصلاحي في عمومه و بطابع أساسي للقصيدة الإصلاحية ، فأي موضوع يطرق إلا و النزعة الدينية حاضرة بارزة و قد اشتهر في هذا المجال الشاعر أحمد سحنون الذي تربى تربية دينية محضة كان لها التأثير البالغ على رؤيته و معاملاته فدهب بعيدا في تفسيره للقضايا من حوله تفسيرا دينيا "فالدارس للأدب الجزائري الحديث يلحظ أن الشاعر في هذه الفترة كان يتأمل واقع المجتمع وما انتشر من أمراض محاولا إصلاحه من زاوية الدين فتراه يذكر في كل مناسبة إن الرجوع إلى القيم الروحية واقتفاء اثر السلف الصالح هو سبيل النجاة وانه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولهما "[2].

[1]– عبد الله الركيبي الشعر الديني الجزائري الحديث ج2 ، ص 08.

[2]– المرجع نفسه : ص 11.

"ولما كانت فكرة الإصلاح تبدأ من الحديث وتنتهي له ،فان الشاعر الإصلاحي لا ينسى لحظة واحدة وفي أي قصيدة أن يتحدث عن القران والسنة لأنهما المبدأ والمنتهى وهما الأساس الذي ينبت عليه الفكرة الإصلاحية .[1]

2- المجال السياسي:

أولى شعراء الإصلاح أهمية بالغة للبعد السياسي المرتبط أصلا بالجانب الاجتماعي و ذلك لأن نظرتهم تعتمد على الشمولية مع ترتيب الأولويات ، ففي زخم الويلات و الاضطهاد الذي كان يسمونه الاستعمار الفرنسي للمجتمع الجزائري و طبيعة الجو السياسي المحتقن ، حيث كان شعرائنا ينشدون لمبادئ الأمة و الإنعتاق من الظلم و القهر متطلعين إلى الحرية و الاستقلال.

فالعمق السياسي أصيل في شعر الحركة الإصلاحية ونبثث اهتمامهم بالبعد السياسي كركن ووظيفة في الرؤية فالبرغم من الاهتمام العميق بالبعد الاجتماعي و الثقافي إلا أنهم أدركوا إن الفعل السياسي له قيمة مضاعفة ، حيث يقول محمد العيد آل خليفة في قصيدته تحت عنوان الضيف الثقيل :

أطلت بجانبي يا ضيف فارحل لحاك الله من ضيف ثقيل

مضى بك مذ نزلت على قرن متى يا ضيف تؤذن بالرحيل" [2]

ففي هذه القصيدة الشاعر محمد العيد يرفع صوته متذمرا من الاستعمال الفرنسي واصفا إياه بالضيف الثقيل طالبا منه الرحيل ، فهو يتذمر من ضيف غير مرحب به لعله يحفز به الشعب فيقاوم و يتحدى و يرتبط بأمل النصر و تحرير الوطن.

[1]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ج2 ،ص 24.

[2]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، د ط ، د ت ، ص 464.

رابعا – ارتباط الشعر بالفكر الإصلاحي :

"كان من الطبيعي أن يرتبط لشعر بالفكر الإصلاحي لان الذين دعوا إلى الإصلاح احتضنوا التراث والأدب واللغة والثقافة العربية في الجزائر ومن ثم ازدهر الشعر في رحاب هذا الفكر وعبر عن أهدافه ومراميه ، ونحن نفرق بين الإصلاح فكرة وبينه حركة ونعتبر أن الشعر ارتبط بالفكرة قبل أن تصبح حركة فيما بعد ، ذلك أن الفكرة سبقت الحركة واقعا وفعلا تاريخيا وظهورا ، فقد كانت قبل هذا القرن وأخذت تتبلور شيئا فشيئا حتى قامت الحرب العالمية الأولى".[1]

و قد بدأت تبرز بشكل منتظم عام 1925 م بظهور جريدة المنتقد وهي أول صحيفة رفعت شعار الفكر الإصلاحي و من هذا التاريخ ظهر ما يسمى بالحركة الإصلاحية في الجزائر حيث انتشر دعاتها في شتى المناطق ثم تكونت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 م و التي أصبحت تجمعا منظما يمثل حزبا إصلاحيا على نحو ماله منهجه و مبادئه و أهدافه الخاصة.

"فارتباط الشعر بالفكر الإصلاحي جاء نتيجة ظروف أحاطت بالأدب والثقافة وبسبب عوامل أحاطت بالفكر والمجتمع و الساسة فأثرت في الشعر ووجهته لخدمة هذا الفكر ".[2]

فرجال الإصلاح وجهوا عنايتهم لمواجهة التراث وغربلته و البحث فيه عن جوهره الثمين ،كذلك فان الدين إذا ضعف في النفوس وطغت عليه الأوهام و الخرافات بسبب ممارسات الطرق الصوفية الموالية للاستعمار ودخل فيه ما ليس من جوهره و مبادئه ، فانه في الماضي كان قوة روحية و مبادئه اجتماعية مكنت من تأسيس حضارة عربية إسلامية أضاءت العقل الإنساني بتوجيهها و وسعت مداركه وفتحت له آفاق واسعة في العلم.

[1]– عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ج 2 ، ص 07.

[2]– المرجع نفسه : ص 8.

" فالمجتمع الجزائري إذا كان في حاضره يتخبط في التخلف والمعنوي فذلك بسبب الاستعمار وليس عن قصوره الذاتي لأنه كان في الماضي مجتمعا متقدما حضاريا و ثقافيا " .[1]

"و لكي يتخلص الجزائريون من هذا كله ، لابد من تطهير الدين مما علق به من أوهام وخرافات ويطور اللغة بالتجديد في أساليبها لذلك كان لابد من المطالبة بتحرير الذين من المطالبة بتحير الدين من السيطرة الفرنسية ونشر التعليم العرب بتكوين مدارس خاصة و تدريس علوم العربية في المساجد ، و هذا كلها شعارات رفعتها الحركة الإصلاحية مند بدايتها لهذا ارتبط الشعر بالفكرة الإصلاحية التي ترى أن التقدم لا يتم إلا بإحياء التراب الثقافي والأدبي وإصلاح المقومات الأساسية من لغة ودين وتاريخ وحضارة ".[2]

و لهذا حظي الدين الإسلامي بنصيب وافر من الشعر الجزائري الحديث ، فالشاعر في هذه الفترة كان يتأمل واقع المجتمع و ما انتشر فيه من أمراض محاولا إصلاحه من زاوية الدين فتراه يذكر في كل مناسبة بالرجوع إلى القيم الروحية اقتفاء اثر السلف الصالح الذي هو سبيل النجاة ، فالإصلاح يبدأ من الدين و ينتهي به .

و في ظل حركة الإصلاح بعث الشعر الجزائري حيث اخرج من سطحية الفكرة إلى عمقها ومن جمودها إلى حركتيها ، فحرك الإصلاح تعد نقطة تحول بارزة في تاريخ الجزائر الفكري والفني فالصراع القائم بين حركة الإصلاح والفلسفة الاستعمارية ما هو إلا صراع ديني قائم على الخداع قبل أن حراب استعمارية " فقد انخرط الشعراء في هذه الحركة بصدد تطبيق وتبليغ رسالة سماوية ".[3]

[1]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ،ج2 ، ص 08.

[2]- المرجع نفسه :ص 09.

[3]- صالح خرفي :دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1984 ، ص 34 .

خامسا – نظرة الإصلاحيين للشعر في الجزائر:

إن نظرة الإصلاحيين إلى الشعر و ماهيته ظلت مرتبطة بالمفهوم التقليدي المعروف عند النقاد العرب القدامى ، و لكن نظرتهم إلى وظيفة الشعر و دور الشاعر في الحياة و المجتمع جاءت استجابة لواقع سياسي و اجتماعي مفروض ، مما جعلهم يغلبون النظر إلى المضمون على حساب الشكل فهم في إلحاحهم على دور الشاعر الإصلاحي ، لم ينظروا للشاعر أنه إنسان مبدع له عواطفه الذاتية و إحساسه المرهف و تلك النظرة كان لها أثرها الواضح في الإنتاج الشعري في هذه المرحلة ، فنظرة الإصلاحيين للشعر في الجزائر تمثلت في تيارين:

1–نظرة الإصلاحيين المحافظين :

الفرع الأول : بزعامة الشيخ البشير الإبراهيمي وكل من يستند إلى النقد اللغوي وهؤلاء ينظرون إلى الشعر بمنظار لغوي أي مقياسهم الجيد للشعر يكون بحسن اللغة والوزن ، أما الفرع الثاني ويمثله أنصار التراث الذين لا يخرجون عن الدائرة الأولى ومنهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس و الأخضر الإبراهيمي و السائحي ، فكلا الفرعيين مرتبطان بالدين الإسلامي و قيمه النبيلة.

2–نظرة الإصلاحيين المجددين :

و يمثله كل من رمضان حمود و الهادي السنوسي ، الزاهري فكل هؤلاء قد تشبعوا بالثقافة العربية الإسلامية بعد جامع الزيتونة ، فبرصيدهم التراثي أحسنوا قراءة اللغة الفرنسية مضرب المثل لهم وخاصة رمضان حمود لأنهم أذكو نار الثورة بطريقة ذكية وألهبوا الحماس في نفوس الجماهير ضد الظلم و الاستبداد" [1].

[1]– محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925 – 1975) دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1983، ص72 .

إن المحافظين المنطلقين من عنصر اللغة يرون هويتهم و أصالتهم و شخصيتهم و دينهم فيها لأنها لغة القرآن ، فهي مقدسة إلى أبعد الحدود ، لأن اللغة الفرنسية في تلك المرحلة أخذت تتسرب في الأوساط العامة وخاصة الفئة التي تمدرست في المدارس الفرنسية ، لذا فالنظرة إلى اللغة الفرنسية كانت نظرة عداء وبقيت إلى يومنا هذا ولا يستطيع احد أن ينكر الصراع القائم بين ما يسمى بالمفرنس و المعرب في الجزائر .

و ربما كانت نظرة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من هذا المنطلق أي الصراع بين اللغة العربية و الفرنسية من أجل البقاء و الحفاظ على كيان الأمة كان التركيز على العنصر اللغوي ، "فالإبراهيمي لا يدرس الشعر و لا ينظر إليه إلا من زاويته اللغوية ."[1] و يقيمه بناءا على صوره البيانية و فصاحته و مدى تعلق هذا الشعر وصلته بالقديم أي بالتراث.

فالتتبع للحركة الإصلاحية و نشطاءها من الشعراء والأدباء و خاصة المحافظين منهم تجدهم لم يولوا أهمية لماهية الشعر و لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث لينظروا له لان مهمتهم ليست التنظير بدر ما كانت مهمة إصلاحية لأوضاع اجتماعية و ثقافية و دينية كادت أن تزول أسسها بفعل التدمير الذي أحدثه الاستعمار الفرنسي وما أحدثه من تخريب في البنيات الأساسية التي يرتكز عليها المجتمع و في طليعتها الدين و الثقافة لدا فهم "لم يقفوا وقفات طويلة في تحديد ماهية الشعر وتعريفه بقدر ما أولوا أهمية كبيرة لوظيفة ودور الشعر و مكانته في الحياة و المجتمع و كذلك مهمة الشاعر و رسالته في التوجيه "[2].

أما المجددون فيتزعمهم بلا منازع رمضان حمود ونظرته لا تخرج عن نطاق المحافظين الإصلاحيين إلا فيما يخص قوانين الشعر حيث يقول" الشعر بتيار كهربائي مركزه الروح وخيال لطيف تقذفه النفس لا دخل للوزن و القافية في ماهيته

[1]- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص 48.

[2]- المرجع نفسه : ص ص 68-69.

وغايته أمرهما إنهما تحسينات لفظية اقتضاها الدوق والجمال في التركيب لا في المعنى كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة ولا ملوحة وإنما حفظا وصيانة من التلاشي والسيلان "[1].

فقد حكم على الذين يظنون بان الكلام الموزون والمنسق هو الشعر بأنه ظن قاسي واعتقاد فارغ بارد، فماهية الشعر عنده"هي الروح والخيال وليس شيئا أخر و ربما تحول النثر ليصبح وحكم شعرا وقد يتوافق في إيصال التجربة على بعض القائد العمودية التي ليس لها من عناصر الشعر غير الوزن و القافية "[2].

أما قضية اللغة فله رأي فيها فلا يسمى الشاعر شاعرا عنده إلا إذا حاطب الناس باللغة التي يفهمونها بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسمة "و يضيف قائلا يجب على الشعراء الكبار أن يتنازلوا إلى مخاطبة الطبقة الوسطى و السفلى من الأمة أي العامة التي هي هيكل الشعوب و مرجعها الوحيد ."[3]

أما وظيفة الشعر فيتفق فيها الإصلاحيون جميعا ولا خلاف فيهما فلا بد للشاعر أن يكون روح شعبه ومحركا لرسالته الحضارية لأنه مستخلف و المستخلف في الأرض من حقه الرئاسة وكيف يترأس أو يمتلك من لا يملك حرية نفسه "و لا يتمكن من النطق بالحقيقة العميقة الشاعر بها القلب ".[4]

الحقيقة التي يشعر بها الشاعر قبل غيره فالشعراء الفنانون هم رسل الشعوب بعد الأنبياء "فالشاعر الصادق قريب من الوحي "[5].

[1]- صالح خرفي : رمضان حمود حياته و آثاره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1985 ص101.

[2]- محمد ناصر : رمضان حمود حياته و آثاره ، المؤسسات الوطنية للكتاب الجزائري ، ط 2 ، 1985، ص97.

[3]- صالح خرفي : رمضان حمود حياته و آثاره المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط، 1985 ، ص 118 .

[4]- رمضان حمود : بذور الحياة ، مكتبة الاستقامة ، تونس ، دط ، 1928 ، ص 113.

[5]- المرجع نفسه : ص 113.

إن رسالة الشاعر تكمن في التوجيه و التوعية و الدفاع عن الشرف و التغني بالأمجاد و النظر إلى حال شعوبهم و واقعها بمنظار نقدي فعال ، "فالهادي السنوسي عندما هم بجمع ديوان الشعر الجزائري أخرج منه مواضيع مختلفة كالرثاء و الهجاء و المدح لما بينهما و بين الحقيقة اليوم من التباس ، لما في المديح من التنازل عن الكرامة و في الهجاء من البذاءة و في الرثاء من التعداد الذي قلما يصدق فيه قائله و الجميع في الأكثر لا يفيدنا معنى اجتماعيا و لا غيره وعلى الأخص في بيئتنا ".[1]

لأن هذا الفعل في حد ذاته توجيه للشاعر و للشعر في خدمة الوطن والاهتمام بقضاياه و تجسيدا للنحت بدلا من الأنا ، و بذلك يكون " الشعر سلاحا من أسلحة الفكر الإصلاحي الأمر الذي يجعل منه أداة لنشر المعاني الإصلاحية فنشا ما أطلقنا عليه شعر الدعوة ، دعوة إلى النهوض إلى العلم إلى اليقظة و أخيرا دعوة إلى رفض الفكر الغيبي" [2] ورد الاعتبار للقيم الدينية .

[1]- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص 74.

[2]- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، رسالة دكتوراه ، معهد اللغة والأدب العربي ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،1997 – 1998 ، ص 142.

المبحث الثاني : الشعر الإصلاحي في الجزائري الحديث.

تمهيد:

يقصد بالاتجاه الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث هو الذي ارتبط بالحركة الوطنية الإصلاحية التي قادتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث ارتبط بها جمع غير يسير من الشعراء والخطباء والفقهاء فحملوا رسالته النبيلة ورايتها الكريمة في التربية والإصلاح ونشر العلم والثقافة والوعي للتحرر من رقبة الاستعمار .

أولا– نشأته:

جاءت حركة الإصلاح استجابة لجملة من الأحداث كان لها الفضل الكبير في ميلادها كفكرة رفعت غمار التحدي ضد الدخيل الأجنبي ، ناهيك عن الجهل المحلي المتجسد في انحراف الطرقيين عن تعاليم الدين "فمنذ بدأت اليقظة الفكرية و الثقافية تظهر في أفق الجزائر برزت إلى الوجود فكرة إصلاحية تعمد في مبادئها على الرجوع إلى المنابع الأولى للدين والتاريخ والثقافة العربية الإسلامية ."[1]

"هذه الإرهاصات الإصلاحية احتضنتها عوامل رافده من الهجرة إلى المشرق أو التلقي منه ،فقد شد الرحال إليه في هذه الفترة دعاة الإصلاح الديني في المشرق "[2] و من جملة هذه الزيارات التي هيأت الأرضية الخصبة لميلاد الحركة الإصلاحية نذكر "زيارة الإمام محمد عبده للجزائر في صيف 1903 م ، و إن لم تزد هذه الزيادة على ثلاث أيام و لم يتجاوز نشاطها دروسا في التفكير و نصائح توجه في حلقات عفوية ، حيث صادفت زيارة الإمام للجزائر **توليه جونار jonnad** حاكما عليها و كان الجزائريون ينظرون إليه بنظرة التفاؤل ، لذلك كان خطابه إليهم على ما ترى

[1]– عبد الله الركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ط3 ، 1977 ، ص 11.

[2]– صالح خرفي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 13.

من اللين تماشيا مع رأيه ما دخلت السياسة عملا إلا أفسدته حيث جدد جونار بناء المدرسة الثعالبية سنة 1904 م و من مواقفه رعايته لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي عقد سنة 1905 ".[1]

إن زيارة الإمام إلى الجزائر و المواقف التي تبادرت عن جونار توحي بأن الفكرة الإصلاحية بدأت تنمو في جو من الهدوء السياسي ثم بدأت هذه الفكرة تتنقل إلى الأذهان خصوصا "مع بداية القرن العشرين حيث أخذت تلوح في الأفق بوادر نهضة أدبية تمثلت في شعر بعض الرواد الذين أصابوا نصيبا من الثقافة المتطورة نسبيا أو تأثروا بالنهضة المشرقية الإصلاحية بواسطة جريدتي " **اللواء** " و " **المنار** " المصريتين و تمثلت نهضتهم في بروز عدد من المؤلفات و المقالات و القصائد ساعدتهم على نشرها في بعض الصحف العربية الرائدة مثل المغرب 1903 ،كوكب إفريقيا 1907م ، الفاروق 1913م ، ذو الفقار 1913 م" .[2]

في ظل هذا الزخم من التطورات و الأحداث بدأت الجرائد تظهر في الجزائر كصدى للنهضة في المشرق ، و لعل أولى هذه الجرائد هي جريدة الفاروق سنة 1913 م و مؤسسها السيد عمر بن قدور الجزائري حيث كان متأثر عميقا لمجلة المنار و كان شعار الفاروق في هذا البيت:

قلمي لساني ثلاثة بفؤادي ديني و وجداني وحب بلادي

و جريدة ذو الفقار سنة 1914 م مؤسسها ابن المنصور الصنهاجي ، و هو اسم مستعار لعمر راسم لم يصدر من الجريدة إلا أعداد قليلة و لنرعتها الوطنية ألقي بصاحبها في السجن ، كما أن الفكرة الإصلاحية بين محمد عبده و عمر راسم موحدة بينهما مما جعله يصدر أحد أعداد جريدته بصورة الإمام محمد عبده و يكتب تحتها مدير الجريدة الديني ثم يديل بالبيتين المشهور له :

[1]– صالح خرفي : شعر المقاومة الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، د ط ، د ت ، ص ص 152 –153.

[2]– محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص24.

و لست أبالي أن يقال محمد أبل ، أم اكتظت عليه المآتم

و لكن قد أردت صلاحه أخاف بأن تقتضي عليه العمائم [1].

رغم البداية المحتشمة للفكرة الإصلاحية أمكنها الاستمرار و التطور إلى أن أصبحت حركة حيث "بدأت تبرز بشكل منظم على نحو ما حتى اتضحت حيثياتها عام 1925 م ، بظهور جريدة المنتقد فهي أول صحيفة رفعت شعار الفكر الإصلاحي بصوت جهوري صريح و أعلنت عن هويتها التي تتمثل في أمرين ، الرجوع إلى الماضي العريق فكرا و ثقافة و تراثا و صياغته على وجه يساير التطور الحضاري ، و الأمر الثاني هو نقد الواقع و الخروج من التخلف المادي والأدبي و التحرر من الجمود والتأخر الفكري و الاجتماعي ". [2]

و على غرار هذه الجرائد التي تدعو إلى إحياء التراث و تمثله و نقدها للواقع ظهرت مجموعة أخرى من الصحف الوطنية و هي تحمل نفس الفكرة من بينها الشهاب 1925 م ، صدى الصحراء 1925م ، واد ميزاب 1926م ، الإصلاح 1927 م، البرق 1927م ". [3]

كما تجدر الإشارة إلى الجهود المتواصلة التي قام بها "إبراهيم أبو اليقظان بن الحاج عيسى الذي اصدر ثماني جرائد خلال ثلاثة عشر سنة (1926م – 1936 م) وهي واد ميزاب ، ميزاب المغرب ،النور البستان ، البرانس ، الأمة ، الفرقان، فكان كلما أوقف له الاستعمار صحيفة اصدر هو أخرى نضالا و تحديا ". [4]

---

[1]– صالح خرفي : شعر المقاومة الجزائرية ، ص ص 125 ، 126.

[2]– عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ج2 ، ص 07.

[3]– محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص 29.

[4]– عمر بن قينة : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون ، الجزائر ، دط ، 1995 ، ص63 .

و في خضم هذه التطورات ظهر "نجم جمال إفريقيا في جوان سنة 1926 م الذي كان مصالي الحاج عضو لجنته التنفيذية ، ثم ظهور نادي الترقب الذي تأسس بالعاصمة الجزائرية سنة 1927م ، و دوره البارز في الحركة الثقافية عموما ، و الحركة الإصلاحية خصوصا ، وقد قام هذا النادي بمهمة جليلة في إشاعة الحرف العربي ، دروسا و وعظا و خطابة من اجل التمكين للحس الوطني ." [1]

و بصرف النظر عن هذه الجهود الإصلاحية التي تهدف إلى تنمية الحس الوطني في كنف المستعمر ، الذي ساهم بطريقة أو بأخرى في تنمية هذا الحس لاسيما بعد أن استفز الجزائريين إعلان فرنسا احتفالها سنة 1930م بمرور قرن على احتلال الجزائر ، مما غذى أكثر من ذي قبل الحس الوطني في الجزائر ، وجعل الأمر يشع في النفوس لمواجهة الاحتلال و افتكاك الحقوق ." [2]

رغم أن الجزائر قد استوعبت الفكرة الإصلاحية إلا انه بقي في أمس الحاجة إلى ظهور ثورة إصلاحية تقلب الموازين فكان تأسيس جمعية العلماء المسلمين عام 1931م ، على يد الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس و البشير الإبراهيمي و الطيب العقبي و غيرهم.

من هنا كانت البداية الحقيقية للفكر الإصلاحي الذي انطل من " قسنطينة وبدأت في المنطقة بعض الأسر المسلمة تفكر في رد اعتبارها على أساس الوطنية والدين ..... كما عبر عن ذلك مالك بن نبي وهو يصف الوضع في تبسة سنة 1923 م ، حيث يقلع مدمن الخمر والقمار ويسخر يسحر ماله في مشروع خيري أو بناء مسجد ". [3]

[1] – عمر بن قينة : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص60.

[2] –المرجع نفسه : ص 59.

[3] – المرجع نفسه : ص 61.

فأصبحت الجمعية هي الناطق باسم كل جزائري يهدف إلى الحرية ومحاربة البدع تحت شعار "لا يصلح أخر هذه الأمة إلا بما يصلح أولها " [1].

و على هذا الأساس جاءت قصائد الشعراء المصلحين حافلة بالمعاني القرآنية و الأخلاق النبوية ، ولاشك أن الشاعر قد يهجو قومه إذا كانوا أعداء الدين ،" فالإصلاح الديني في الثلاثينيات يعد من ازهي الفترات حيث نشطت الحركة في هذا المضمار ، فكانت بذلك اغرز الفترات شعرا بسبب سوء فهم الذين وحقيقة مبادئه وجوهره تعاليمه وبذلك لم تردد في الاتجاه إلى المنبع الأصلي والدستور السماوي للإسلام " .[2]

و في ضوء هذه الحقيقة التي تعالت فيها أصوات الشعراء نذكر "قصيدة الدين الخلص للشيخ الطيب العقبي التي تؤرخ للفكر الإصلاحي المنظم ، وتهجو مجموعة هذه البدع المستحدثة في الدين وقد عني بها الباحثون مثلما عنوا بقصيدة المنصفة للابن الموهوب التي تؤرخ لما قبل العشرينيات فقال عنها الشيخ مبارك الميلي فكانت تلك القصيدة أول معول مؤثر في هيكل المقدسات الطرقية ، لا يعلم مبلغ ما تحمله هذه القصيدة من الجرأة ومبلغ ما حدث عنها من انفعال الطرقية إلا من عرف العصر الذي نشرت فيه و حالته في الجمود و التقديس لكل خرافة في الوجود و بدايتها تدل على إحساس الشاعر بهذا الواقع المزري بحيث نجد في هذه القصيدة نوعا من اليأس بيدها بهذا الرثاء للدين :

ماتت السنة في هذه البلاد قبر العلم و ساد الجهل ساد " .[3]

و بعد تحسر الشاعر على الوضع الذي آل إليه الدين و تهجمه على أصحاب البدع نجده يفصح عن مذهبه و اعتقاده.

[1]– عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ج2 ، ص 11 .

[2]– صالح خرفي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 47.

[3]–عبد الله الركبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ج 2 ، ص 39.

" مذهبي شرع النبي المصطفى و اعتقادي سلفي و سداد

فالشاعر في هذا البيت عن الفكر الوهابي الذي لا يعتقد سوى في القران و الحديث وينفر من المذاهب الأخرى و يرى أنها فرقت المسلمين" [1] ، و لم توحدهم ،خاصة و أن الشاعر عاش في الحجاز فترة طويلة و تأثر بتلك الأفكار الوهابية.

و في نفس الاتجاه يسير الشيخ اللقائي الذي يرى إن الإصلاح لا يتم إلا بالرجوع إلى الدين و القويم :

"تعالوا إن الدين القويم وهديه إني أرى الإصلاح في سنة الهادي ".[2]

فلا عجب بعد كل هذا أن يكون للقرآن الأثر البالغ في كتابة الشعر لفظا ومعنى "خصوصا أن الشعر الحديث قد ارتبط بالحركة الإصلاحية التي من أهدافها تشجيع اللغة ، و نشرها بكل الوسائل ومن ثم عرف صحوته الحقيقية بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين في سنة 1931 م "[3] ، ففي هذه الفترة تضافرت جهود الشعراء في تقصي أمراض المجتمع والأمة منتصرين للدين في جل موضوعاتهم.

ثانيا– رواده:

برزت في مسيرة حركة الشعر الإصلاحي كوكبة من الشعراء شكلت كتلة الجمال والإبداع حيث ظهرت في سماء الحركة الإصلاحية مند تأسيسها يقوم باسما لامعة أضاءت ليلة حالكة تجلل بقصائدها معلنة عن نفسها وانتمائها

[1]– عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ج2 ، ص 40.

[2]–المرجع نفسه : ص 149.

[3]–محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص 32 .

تدحض الظلم والظلام وتنشر الفجر وتباشير لسلام كما سعت إلى نشر الهدى ومناهضة الاستعمار حفاظا على الكيان الوطني انطلاقا "من مؤرخ الحركة الإصلاحية الشيخ مبارك الميلي ".[1]

الذي ساهم عام 1931 م ، في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،والذي كان نشاطه يمثل وجود بارزا للإصلاح و باتت آراءه و أفكاره محل حديث العام والخاص في المجتمع ن فقد ساهم بقلمه السيال في الحياة الصحفية في الجزائر و أحد أبرز الطاقات التي قامت عليها الصحافة الإصلاحية بصفة خاصة ، إذ لابد لنا في هذا المقام أن نذكر مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي أولى التربية التعليم اهتماما بالغا في نشاطه الإصلاحي ، المصطلح الثوري والشاعر الصحفي و العالم المفسر الشيخ عبد الحميد بن باديس ".[2]

كما لا ننسى رفيق النضال في قيادة الحركة الإصلاحية الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ،كما برز في هذه الواجهة أيضا الطيب العقبي الذي يعد من أبرز المصلحين الجزائريين الذي اشتهر بموهبته الخطابية المؤثرة ، و كذلك الشيخ العربي التبسي الذي كان احد أعمدة الإصلاح في الجزائر ، ومن بين الشعراء الذين برزوا في هذا النطاق محمد السعيد الزاهري مؤسس جريدة البرق "كان شاعرا مصلحا عنيفا في نقده للطرقية و هجومه على البدع ". [3]

و كذلك الشأن بالنسبة إلى حسن بولحبال "و الشيخ العلامة محمد الصالح خبشاش الذي يعد من شعراء الإصلاح المجيدين " .[4]

[1]- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث ، ص 32.

[2]- المرجع نفسه : ص 46.

[3]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ،ج2، ص 171.

[4]- المرجع نفسه : ص 172.

أما فيما يخص المنابع الفكرية التي تشرب منها شعراء الإصلاح في الجزائر "هي مدرسة زعماء الشعر الإصلاحي أو التي يسميها العقاد المدرسة الوسطى فهؤلاء الشعراء ساروا مع النهضة العربية وعبروا عن أزمات ويقظة الشعب العربي و اتخذوا من الواقع العربي الإسلامي موضوعات خصبة.

و من هنا نستطيع القول بان هذه المدرسة الشرقية قد انتقلت إلى الجزائر ، ولعل محمد العيد آل خليفة و أحمد سحنون ، مفدي زكريا ، و محمد اللقاني و الغزالي و أمين العمودي و محمد السعيد الزاهري و الهادي السنوسي أحسن من يمثل هذه المدرسة في الجزائر " .[1]

و على كل حال لا مناص من الاعتراف بالجهود المضنية التي قدمها هؤلاء الشعراء في إعادة بناء ما هدمه المستعمر.

ثالثا– موضوعاته :

1– محاربة البدع و الخرافات:

كان الاستعمار يستهدف القيم و المبادئ منذ وجوده على أرض الجزائر ، السبب الذي أدى إلى انتشار الجهل و الأمية ، ناهيك عن تلك البدع و الخرافات التي رسخها رجال الطرق الصوفية في المجتمع "غير أن الموضوع الذي كان أكثر استحواذا على اهتمامات الشعراء هو محاربة الخرافات والبدع التي انتشرت وتفشت في أعقاب ما تنشره بعض الطرق المنحرفة من تصرف عقيم ، ويبرز في هذا المجال "عمر بن قدور" بروزا واضحا إذ نلمس في قصائده عناية خاصة بالناحية العقائدية ".[2]

[1]– أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ،ص 52.

[2]– محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص 26.

و الواقع مافتئ الشاعر يدعوا إلى فتح سبل و آفاق جديدة تنير درب الأمة الإسلامية بوجه عام كما "دعا إلى تأسيسي جماعة التعارف الإسلامي في شمال إفريقيا سنة 1914م ، وإن أصيب بالإحباط و الانكسار في أكثر من منعرج ، فإن الواقع العاثر لم يخذله في قيام أول مدرسة عربية حرة في عاصمة الجزائر سنة 1923م (مدرسة الشبيبة الإسلامية) و كان عمر بن قدور أول من نادى بها ، و كانت هذه المدرسة أول لبنة تربوية ثقافية أدبية في النهضة الإصلاحية عروبة و إسلاما في الجزائر" .[1]

في خضم هذه التطورات تجدر الإشارة إلى ما قاله الشاعر المولود بم الموهوب "في قصيدته " المنصفة " التي تتبع فيها ما حدث في المجتمع من أمور خارجة عن الدين ، وكيف انه قد غرق في الضياع وانتشرت فيه الخرافات والبدع ، و القصيدة تمثل بداية حقيقية للشعر الإصلاحي الذي حمل بعد ذلك مشعل الدعوة إلى النهوض و تطهير المجتمع من هذه الخرافات إذ أمكن للشاعر أن يرصد هذا الواقع المرير في أسلوب ساخر:

"و سل زارا و نسر مسيد طبل و زينتنا تبيع التابعينا

وسل عنا السلاحف في غراب و أعطارا تراق و عالمينا ".[2]

"حيث تبلورت الحركة الإصلاحية في كنف هذه الأوضاع المزرية ن معلنة الحرب على كل الأمور التي تمس العقيدة و تشويه الدين ، لذلك لا يفوتنا التنويه بالجهود التي قدمتها جمعية العلماء المسلمين فهي التي جمعت الشتات و أحيت الموات و حددت المبادئ و وفرت الوسائل للقوادم المستعدة أن تطير و تحلق و الأفكار المقيدة و أن تبحث و تتعمق في النهضة الأدبية و تسابق الإصلاح الديني و تغذيه ".[3]

[1]– عمر بن قينة : دراسات في الأدب الجزائر الحديث ، ص51.

[2]– عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ج2 ، ص 13

[3]– أبو القاسم سعد الله : محمد العيد رائد الشعر الحديث في الجزائر ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1975 ص 08.

و في هذه الأثناء تعلن "الجمعية الحرب على الطرق الصوفية المتطرفة و تتهمها بالانحراف الديني و الولاء للاستعمار الفرنسي ، و استغلال الطبقات الشعبية البسيطة باسم الدين ".[1]

و بهذا تهافتت سهام النقد و الهجاء على أصحاب التصوف المنحرف ، و كل من اقتفى أثرهم من الأمة مما جعل الشيخ البشير الإبراهيمي يقول بدون تردد "و ما ضر هؤلاء الأشياخ و قد دانت لهم الأمة وألقت إليهم يد الطاعة و مكنتهم من أعراضها و أموالها و أن يأخذوا أموالها سارقين ، ثم يورثونها أولادا لهم فاسقين يبددونها في الخمور و الفجور و السيارات و الملابس و القصور ما ضرهم أن تهزل الأمة إذا سئموا ؟ ما ضرهم إذا فسدت أخلاقها مادام خلق البذل و الطاعة صحيحا ؟ ما ضرهم أن تختلف كلمة الأمة ما دامت مجتمعة على تعظيمهم و احترامهم ؟ و مغضية عن شرهم و إجرامهم ".[2]

و على حد تعبير الشيخ الإبراهيمي تتجلى أمامنا الحقيقة المؤلمة التي ساهمت فيها الأمة بسبب فرط و لأنها لهؤلاء الدجالين و غفلتها عن جرمهم أمر جعل الشيخ الإبراهيمي يواصل جهاده في محاربة أصحاب الطرق المنحرفة موضحا طريق الهدى الذي يجب أن تسلكه الأمة فيقول " نريد لهذا العامي أن يؤمن بالله ربا و بالإسلام دينا و بالكعبة قبلة و بالقرآن إماما و بمحمد رسولا ، و أن لا يرجو النفع إلا من ربه ، و لا يستدفع الضر إلا به ، و أن لا يستعين بعد الأسباب الكسبية إلا بقوته ، و تريدون منه أن يؤمن مع ذلك ، و أن قبل ذلك ، أو بعد ذلك بأنكم أولياء الله و إن استبحتم الحرمات و ركبتم المحرمات ، و أن يشرككم مع الله في الدعاء ...".[3]

[1]– محمد بن عبد الرحمان الربيع : الاتجاه الإسلامي في شعر محمد العيد آل خليفة ، مكتبة المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1، 1986 ، ص 50.

[2]– صالح خرفي : شعر المقاومة الجزائرية ، ص 119.

[3]– عمر أحمد بوقرورة : دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، دار الهدى ، عين مليلة ،الجزائر ، د ط د ت ، ص 100.

و بهذا أصبحت النزعة الصوفية غير مستساغة في بيئة الإصلاحيين لأن وجهة نظرهم غير صريحة تكسرها الخرافات و الأباطيل لذلك اتجه شعراء الإصلاح إلى إعلان الحرب ضد أصحاب البدع المستحدثة في الدين بغية قطع دابرهم ، "و من طليعة هؤلاء الشعراء الشيخ الطيب العقبي ، الذي تكاد تتسق نفسه مع نفس الزاهري في عنف المواجهة للانحراف " .[1]

و يطلب الشاعر الحديث في سخرية تبلغ منتهاها و ذلك حين يحدث عن انقياد الناس للشيخ ، فهم يمنعون نسائهم من الخروج حتى و هن متحجبات و لكنهم مع الشيخ يتجاوزون عن تقاليدهم هذه :

" و عفيفة هتك المرابط عرضها و تظن ذلك أطهر القربات

فتظل تفخر في النساء بأنها ظفرت من الأيام بالرغبات.

هذا التصوف عندهن و هذه آثار علو " القوم " و" السادات " .[2]

و هكذا كان الشاعر يستخدم الشعر أداة نزال في المعركة التي شهدتها العشرينيات و الثلاثينيات لفضح الانحراف الديني و الكشف عن خرافات الطرق الصوفية "[3] ، فالجزاء المناسب لهؤلاء حسب ما ذهب إليه الشاعر هو دخولهم النار يوم القيامة ، و لم يقف الأمر عند هذه الحد بل تواصلت جهود الشعراء في محاولة النيل من نشر هؤلاء الدجالين .

أما رمضان حمود فنجده "يبين للناس طريق السيادة وكيف يتم تزعم القوم ، لكن غرضه السخرية والتهكم في أسلوب لاذع يكشف فيه خبث أصحاب البدع :

[1]- صالح خرفي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 40.

[2]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ،ج2 ، ص 50.

[3]- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص 285.

"فمن شاء أن يحيا على الناس مشرفا و منعزلا عنهم أحب التصوف

لينفث سما في العقول بزهده و يجعل دين الله سرا ليقتفي

ألا قل له ، فليتخذ فوق ربوة مغارا كحجر الضب ، سجنا و مختفي."[1]

و لا ريب في أن هذه الهجمات المتوالية من طرف شعراء الإصلاح يكون لها ردة فعل من طرف شعراء التصوف ،الأمر الذي يؤدي حتما إلى الصراع و النزاع وسبب هذا كله هو "الدعوة الجديدة إلى الإصلاح بعد الهجوم على أساليب هؤلاء الطرفين وفهمهم للإسلام مما فجر المعركة الحادة التي لم يوقفها سوى ثورة نوفمبر 1954 ، و التي نقلت الجزائر إلى مرحلة جديدة اختفى معها هذا الصرع على الأقل في الظاهر ".[2]

أما فيما يخص السبب الذي أدى إلى اشتداد وطيس المعركة بين الطرفين يتمثل في "حادث الاعتداء على الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي وصل بهذا الصراع إلى قمته و فجره بعنف بين أنصار الإصلاح و الطرقبين ، و أدى إلى ما يشبه النقائض في الشعر الجزائري فقد تعرض الشيخ للاعتداء من أحد أتباع الطريقة العليوية الأمر الذي دفع شعراء كثيرين إلى تهنئة الشيخ بنجاته الحادث و اتخذوا منه نقطة للهجوم على الطرقيين و خاصة أتباع الطريقة العليوية ، و من أشد الشعراء سخطا على هذا الحادث وعلى من قام به الزاهري و الذي ثار و هجا و أوغل في الهجاء ".[3]

و بهذا الحادث سعرت نار الخصومة بين الطرقيين فكان لهذه الخصومة عمق التأثير على النظم الشعري الذي أصبح يسير على منوال ما عرف به جرير و الفرزدق و الأخطر ، من نقائض و هجاء في نظمهم الشعري.

[1]- صالح خرفي : دراسات في الشعر الجزائري في الحديث ، ص 42.

[2]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ،ج2 ، ص 10.

[3]- المرجع نفسه: ص ص 48 ، 49.

و الجدير بالملاحظة أن جريدة البلاغ التي كانت لسان الشيخ العليوي و زاويته قد لعبت دورا في هذه الخصومة الطويلة و بعد أن بلغ الصراع ذروته أصبحت لهجتها شديدة على العلماء و المصلحين ، و لم يسلم منها الشيخ العقبي أو الزاهري أو غيرهم من تهجم على العليوي أو هجاه فقي شعره او نثره ن وقد أدى هذا الخلاف إلى الشعب في المساجد الأمر الذي استغلته الإدارة الفرنسية فمنعت الناس من دخولها و التدريس فيها " .[1]

و مهما بلغ العداء بين الطرفين إلا أن هناك من كان يسعى إلا إخماد نار الفتنة وتهدئة الأوضاع ن فهذا زعيم الحركة الإصلاحية "ابن باديس الذي كان يدعوا إلى التفاهم مع رجال الطرق ن ولم يكن عنيفا في هجومه عليهم وقد كتب مقالات في هذا المعنى بل إن دعوته إلى الرفق و الحسنى أغضبت زميله الطبيب العقبي ".[2]

و في ضوء هذه الحقيقة التي آل إليها وضع المجتمع الجزائري حاول شعراء الإصلاح أن يكسروا شوكة التصوف الزائف ، و حث المجتمع على إتباع هذي السلف الصالح .

2- محاربة المستعمر:

لقد أصبح الجزائري في ظل الاستعمار البغيض صاحب قلب كسير تنقصه الهمة لما يكابده من قسوة لحياة و شقاء حاضره " إذ أصبحت الحياة الجزائرية جحيما ، يذكي المستعمر زفيرها و أسندت سبل العيش أمام سالكيها ، و بلغت القلوب الحناجر ، فلا مناص من تلمس اللقمة بين فكي الأسد " .[3]

و بسبب قسوة العيش و غياب الطمأنينة حاول شعراء الإصلاح الوقوف بالمرصاد في وجه المستعمر عن طريق بث الوعي في نفوس الشعب و تحريضه على الجهاد وفق منطلق ديني "و بهذا كان الإسلام هو لغة الرفض لاستبداد

[1]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث : ج2 ، ص 58 .

[2]- محمد بن الرحمن الربيع : الاتجاه الإسلامي في شعر محمد العيد ، ص 51.

[3]- صالح خرفي : محمد العيد آل خليفة ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، د ط ، 1986 ، ص 112 .

الفرنسي و رمز الإدارة وتأكيد الذات ، فقد شكل القسم الأعظم والركن الأساسي للمرجعية الثقافية للشعراء الجزائريين ".[1]

فكان دأب الشعراء الإصلاحيين تعميق الإحساس بحب الوطن و مجابهة المستعمر و أن سبيل الخلاص هي العودة إلى الدين من أجل توحيد الصفوف و في هذا الضمان يقول الشيخ أحمد سحنون:

"يا أمة القرآن حسبك أننا ندعي بحق أمة القرآن

فعليك بالقرآن فالتزمي به أولا فأنك بؤت بالخسران ".[2]

فالشعر هو أحد الأسلحة الفتاكة التي أدمت قلب المستعمر وجعلته ينزف بلا توقف "و لعل الذي ساعد على بقاء الجزائر قرنا و ربع قرن تحت الاستعمار هو الفراغ الأدبي الذي كانت تعانيه و الذي جعل كل شيء صامتا لا ينسى ، هادئا لأي تحرك لا يتمرد ، ذلك إن الأدب الجزائري الحديث و خصوصا الشعر لم يكن منذ ظهوره محدد الهدف عميق الصوت ".[3]

لكن مع ظهور الحركة الإصلاحية وتأسيس جمعية العلماء في الثلاثينيات تضافرت جهود الشعراء واتسم الشعر بطابع الإصلاح و نمت الروح الوطنية في العالم بوجه عام ، لذلك تجد مفدي زكريا يرد على دعاة الإدماج بشدة فيقول :

" و لسنا نرضى الامتزاجا و لسنا نرضى التجنيس

[1]- مجموعة من المؤلفين : توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث ، منشورات مخبر الأدب العربي القديم و الحديث ، عنابة ، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، ص 62.

[2]- أحمد سحنون : الديوان ، منشورات الحبر ، الجزائر ،ط1 ، 2007 ،ج2 ، ص 369.

[3]- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص 31.

و لسنا نرضى الاندماج و لا نرتد فرنسيسا

و رضيت بالإسلام تاجا كفى الجهال تدنيسا ".[1]

و هناك من الشعراء من حاول أن يغرس حب الوطن في نفس الشعب بهدف إيقاظ الأمة و مقارعة المستعمر ، ففي قصيدة " يا بلادي " للشاعر القاني بن السائح نجده يحاول أن يعمق الإحساس بحب الوطن :

" أنا أهوى وطني رغم العدا في بلادي

كل يوم كلفي من حبها في ازديادي ".[2]

إن الشعر الديني الذي يحث على محاربة المستعمر وحب الوطن تغلب عليه الصيغة السياسية كما أننا لا ننسى جهود جمعية العلماء المسلمين التي أسسها ابن باديس في محاربة المستعمر " وقد تسترت هذه الحركة أول مرة تحت تعاليم الإسلام واللغة العربية ومحاربة الخرافات وحفظ شخصية الجزائر ولكنها ما لبثت بعد أن تركزت وأصبح لها جمهور قوي أعلنت عن وجوب انفصال الجزائر على فرنسا ". [3]

فهناك الكثير من الشعراء الإصلاحيين الذين أشادوا بدور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في محاربة المستعمر حيث خصصها أحمد سحنون بقصيدة عنوانها جمعية العلماء أدت رسالتها فيقول :

"جمعية العلماء أدت رسالتها رغم العوادي لم تبرح تؤديها

[1]- مفدي زكريا : اللهب المقدس ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، د ط ، 2007، ص 90.

[2]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، قسنطينة ، الجزائر ، ط2 ،2007 ، ج1 ، ص 128.

[3]- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص 35.

لم تأل جهدا و لم تخضع لطاغية و لم تضعف بأذى ممن يعاديها " .[1]

" و ليس بعيدا عن هذه الإشادة بدور الجمعية و صمودها في وجه المستعمر تصنيف ما قاله محمد العيد آل خليفة في قصيدة يا شباب .

"أيها التابعون في عمل الخير ر سيأتي يأجرها الأتعاب

اصمدوا للعدى و إن ضايقوكم لا تهابوا من العدوى لا تهابوا

حسبنا الله في الأمور و من ذا و كالله قاهر غلاب [2].

" ألقى الشاعر هذه القصيدة سنة 1947 م بمدينة بسكرية " [3] ، و ما من شاعر إلا وهو يذكر مناقب جمعية العلماء كان لزاما عليه أن يعرج عن ذكر بطولات أصحابها في محاربة المستعمر.

3- العروبة و الإسلام :

لما رأى شعراء الإصلاح نقصا كبيرا في الاهتمام بالإسلام الذي يعد رمزا من رموز العروبة انتدبوا أنفسهم لتدارك هذا الموقف مع العلم أن "جمعية العلماء الجزائريين التي تكونت سنة 1931م ، و كانت من أهدافها الدفاع عن الإسلام و ثقافته ضد الغرب و حضارته و التشهير بالغرب و الاستعمار و إقامة الحجج الدامغة على عدو الإسلام و العربية " .[4]

[1]- أحمد سحنون : الديوان ، منشورات الحبر ، الجزائر، ط 2 ، 2007 ، ج1 ، ص 25.

[2]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، دار الهدى للنشر و التوزيع و الطباعة ، عين مليلة ، الجزائر ، دط ، 2010 ، ص 237.

[3]- محمد بن سمينة : محمد العيد آل خليفة ، دراسة تحليلية لحياته ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ط ، د ت ، ص 103.

[4]- أحمد الطويلي : في الإصلاح الحنين إلى الأوطان ، دار بوسلامة ، تونس ، ط4 ، 1984 ،ص 15.

"و هذا ما دفع بهؤلاء الكتاب والشعراء لان يلحوا على التشتيت باللغة العربية على اعتبارها أنها المقوم الذي يحفظ للجزائر شخصيتها الوطنية القومية معا ، وعلى التمسك بالعروبة وبالدين الإسلامي بالخصوص باعتباره القيمة التي تحافظ على عقيدة الشعب ، لان الشعب الذي لا عقيدة له يسهل ابتعه ومسخه ".[1]

فشعراء الإصلاح لا يفرقون بين العروبة والإسلام حيث كان "حماسهم يتقد بشدة نحو الانتماء إلى الأمة الإسلامية ،ويتضح ذلك جليا في الموضوعات التي كانت تحويها صحف ومجلات الحركة الإصلاحية الهادفة في مجملها إلى النخوة العربية في المجتمع الجزائري ، و ربطه مشرقيا حفاظا على هويته " .[2]

ففرنسا قد سعت مند احتلالها للجزائر سنة 1830 م إلى شن حملات متواصلة لطمس معالم الشخصية الجزائرية ، و فك ارتباطها بجذورها العربية الإسلامية و العمل على إضعاف اللغة العربية ،و تلويث العقيدة الدينية ".[3]

حيث بدأ يظهر وميض من الشعر القومي في الجزائر عندما فتح شعرائنا تلك النافذة التي أطلوا من خلالها على ما يحدث في المشرق من نهضة و ما يدور في العالم من تطورات ، و هذا ما أكده الشيخ الإبراهيمي "..... حمل أولئك النفر من مصر و تونس إلى الجزائر قبسا خافتا من الأدب العربي ن كان كافيا في تحريك القرائح و الأذهان ، و قارن ذلك أو سبقه بقليل وصول الآثار الأدبية الجديدة من شعراء الشرق المحليين ، و عرفت الجزائر شعر شوقي ، و حافظ و مطران و الرصافي و انتهت الحرب العالمية الأولى حتى كانت تلك المؤثرات المختلفة قد فعلت في نفوس الناشئة التي هي طلائع النهضة الأدبية ...." .[4]

[1]- عبد الله الركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، ص 14.

[2]- مجموعة من المؤلفين : توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث ،ص 59.

[3]- محمد الصالح الجابري : قضايا الأدب الجزائري الحديث ، دار الجبل ، ط1 ، 2005 ، ص 33.

[4]- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث ، ص ص 29.28.

و هنا ثبت الشعراء تفاعلهم الدائم محاولين زرع هذه الفكرة في نفوس الناشئة النهوض بالوعي القومي " و لا تكاد قصيدة واحدة تتحدث عن الجزائر ، تخلو من هذه الفكرة و تخلوا من الحديث عن الصلة التي تربط العالم بالعالم العربي، و لاشك أن قيام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، في بداية الثلاثينيات قد بلور هذا الاتجاه أكثر من ذي قبل ".[1]

حيث انتقل الشاعر من الولاء لشعبه إلا الولاء لله ورسوله في الوطن العربي كله وأصبح اي بشر فيه يعينه ومن جملة هذه النماذج الشعرية قصيدة (دمعة على الملة) التي عبر من خلالها عمر بن قدور عن مشاعر الانكسار التي شعر بها اتجاه الأمة العربية.

" أيا قوم ما تحلو لقلبي حياته و قد دوخ (السمحاء) هو فناها

بكائي عليها ، لا على الخل و الحمى و خوفي عليها لا أريد سواها

أضيعت فضاع المجد منا و لم نكن شداد و قد هم القضاء لقاها

أما في قصيدته "يا شرق " التي عبرت بصدق عما لحق أبناء الأمة العربية عموما و الإسلامية خصوصا ، من خذلان سببه الأساسي قصور رجال السياسة والفكر و الدين فأعانوا الأعداء على أنفسهم لذا صحح بهذه الثقة الأليمة سنة 1913م " [2] داعيا الشرق إلى إحياء الماضي الحافل بالانتصارات.

" يا شرق هل هذه المصائب تتجلى أو ينتهي الغليان من ذا المرجل

[1]- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص 14 .

[2]- عمر بن قينة : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص 51.

يا شرقتنا يكفيك ما هو حاصل فاعد فعال السالفين البسل ".[1]

فالشاعر هنا أزاح الستار عن حالته النفسية معبرا بأنفاس لاهثة و جريحة عن فقدان الذات التي آل إليها وضع الشرق ، و فضلا عما اشرنا إليه من نماذج تثبت فكرة العروبة والإسلام نجد أحمد سحنون يعبر عن هذا المفهوم في قصيدة فلسطين.

"فذاك العد ألا تقبلي قسمة العدا و للموت سيري لا تبيتي على دخل!

لا تحفلي بالناس إن جار حكمهم عليك فان الله يحكم بالعدل ".[2]

ففي هذه القصيدة ينصح فلسطين بعدم الاستجابة لطلبات العدو و يرى السير إلى الموت أفضل من العيش في خنوع ، فالشاعر لا ينفك عن تأكيد فكرة القومية إذ يقول في قصيدته (من وحي الاستغلال) التي ألقاها في حفل ديني في الحراش .

"فالدين والفصحى هما عز الأوائل و الأواخر

بهما تآخينا ،وقامت ! بيتا أقوى الأواصر

و هما جناحانا و هل بسوى الجناح يطير الطائر

و هما لنا النهج الذي من حاد عنه فهو خاسر"[3]

حيث يرى الشاعر أن اللغة والدين هما العنصران اللذان يحددان انتماءنا و هما القاعدة الأساسية لشخصيتنا العربية.

[1]- عمر بن قينة : دراسات في الأ دب الجزائري الحديث ، ص 52 .

[2]- أحمد سحنون : الديوان ، ج1 ، ص120.

[3]- المصدر نفسه : ص 105 .

أما مفدي زكريا في قصيدته (فلسطين على الصليب) التي يظهر فيها الروح القومية التي باتت تمثله

"و أذكر جرحك في حربنا و في ثورة المغرب الفانية .

في قال هذه القصيدة في ذكرى 13 لتقسيم فلسطين" .[1]

لقد أعلى شعرائنا شأن فكرة القومية كما عبروا عن شدة تأثرهم على ما أصاب الشرق من شتات و ضعف و هذا يثبت الأواصر التي تجمعنا.

4- الحث على العلم:

الاهتمام بالعلم كان من الأهداف الأولى للحركة الإصلاحية في الجزائر باعتباره أساس قيام، أي حضارة فبالعلم ترقى الأمم ، فهذا الأمر جعل رواد الحركة الإصلاحية يسهرون على تعليم الناشئة ،فهم مستقبل الأمة المعول عليهم ، و كانت بداية التعليم تتمثل في الرجوع إلى كتاب الله و سنة رسوله حيث "ظلت الثقافة العربية في الجزائر طوال عهد الإصلاح ، ثقافة سلفية محافظة توجهها حركة إصلاحية اتخذت شعارا له لا يصلح آخر هذه الدنيا إلا بما صلح به أولهما ".[2]

و يستقر الوضع على هذه الحال حتى بزوغ فجر جمعية العلماء المسلمين في الثلاثينات و كان تعليم القران و تربية الناشئة على هذى الرسول صلى الله عليه وسلم أهم انشغالاتها ، و هذا ما أكده ابن باديس بقوله: "إننا و الحمد لله تربي تلاميذتنا على القرآن من أول يوم ، نوجه نفوسهم إلى القرآن الكريم في كل يوم وغايتنا التي تستحق أن يكون

[1]- مفدري زكريا : اللهب المقدس ، ص 279.

[2]- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص 40.

القران منهم رجالا كرجال سلفهم ، و على هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه لأمة أمالها ، و في سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا ".[1]

وليس بعيدا عن هذا الطرح نجد أبو اليقظان الذي يرى"أن القران هو أساس النهضة الفكرية و الأدبية ،داعيا الناشئة إلى العناية الشديدة به و هذا أمر جعله يطلق "الفرقان "على إحدى جرائده ويكرس للقران و أثره سلسلة طويلة من المقالات ".[2]

أما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فيخاطب الناشئة مبرزا لهم قيمة القران و فوائده على النفس و العقل معا، وانه بلسما لكل داء ، ولا معنى للوجود من دونه : " احيوا قرانكم تحيوا به ، حققوه يتحقق وجودكم به ، وأفيضوا من أسراره على سرائركم ، ومن آدابه على نفوسكم و من حكمه على عقولهم تكونوا أطباء ويكن بكم دواء ".[3]

و الواقع الذي نلمحه أن الرجوع إلى الدين هي الحقيقة السرمدية ، لذلك كان هدف" جمعية العلماء المسلمين منذ تأسيسها 1931م هو إقامة تعليم عربي إسلامي ، فنشرت المدارس العربية لتهذيب أخلاق الناشئة و وزعت الأئمة و المرشدين يعلمون قواعد الدين و الإيمان يأمرون بالمعروف وينهون عن ألمنكر و حاولت تطهير الديانة مما شابها من عصور الانحطاط ".[4]

[1]- محمد ناصر بوحجام : أثر القرآن الكريم في الشعر الجزائري الحديث ، (1925 – 1976) ، غرداية ، الجزائر ، ط1 ، ج1 ، ص30.

[2]- المرجع نفسه : ص ص 43-44.

[3]- المرجع نفسه : ص 30.

[4]- أحمد الطويلي : في الإصلاح و الحنين إلى الوطن ، ص 15.

ففي هذا المقام يحق لنا التنويه بالجهود التي بدلتها الجمعية في الحث على العلم ن ودورها الرائد في تربية الناشئة خصوصا و نحن نعلم "إن فرنسا قد سعت مند احتلالها للجزائر سنة 1830م إلى شن حملات متواصلة لطمس معالم الشخصية الجزائرية و العمل على إدماج الجزائريين في الجنسية الفرنسية ".[1]

وفضلا عن الجهود التي قدمتها جمعية العلماء المسلمين وهي تحاول إ'حياء المكارم بعد اندثارها ن تجدر الإشارة إلى الدور الفعال الذي قام به شعراء الإصلاح في محاربة الجهل بشتى أنواع الطرق و الحث على العلم ضمن إطار سلفي محافظ و في هذا الصدد يقول أبو اليقظان :

" يا صائغين من الجزائر أمة تبغي لها بين سماء قصور

لا تبعدوا في البحث أو تستكثروا فالأمر كان و لا يزال يسيرا

غذوا جذور الدين بالقران أن شئتم علاء في السماء و ظهورا " .[2]

فالشاعر هنا يعلي من شان القرآن مبينا أثره في سمو البلاد ورفعتها وكأن الشاعر يريد أن يقول انظروا إلى عظمة هذا الدين و فضله في قيام الدولة الإسلامية ، أما رمضان حمود نراه يدعوا إلى العلم بصفة عامة و يبدوا هذا من خلال قصيدته " دمعة حارة في سبيل الشرف "حيث يقول:

" و ما المرء إلا بالعلوم معظم و لا نال بالإهمال أعلى المنازل

لا ساد قوم همهم في ثراهم ولا خير يأتيهم بأحلام نائم "[3]

[1]- محمد الصالح الجابري : قضايا الأدب الجزائري الحديث ، ص 33 .

[2]- محمد ناصر بوحجام : أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، ص 32 .

[3]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،ج1 ، ص 291 .

فالعلم هو الذي يصنع مجد الأمة وتقدمها ، و الحديث عن العلم يجرنا إلى المقارنة بين الأمم وما وصل إليه الغرب من تطور حضاري ، فهذا أما أكده الشاعر محمد صالح حبشاش و هو يحاول إيقاظ الأمة من غفلتها .

" الغرب قد سئم السبات فكسر الأغلال ، واستعلى على الجوزاء

و الشرق قد ألف السهاد و طالما رام النهوض فناء بالأعياد

فسطا عليه الغرب سطوة مارد حتى هوى في الهوة التعساء ".[1]

حيث رأى شعرائنا أن التربية و التعليم هما حياة الأمة و مستقبلها ، لذلك ألحوا على الاهتمام بالعلم ودعوا إلى إنشاء المدارس ،كما سلطوا الضوء على المعلم و التلميذ و في هذا يقول الشاعر أحمد سحنون في قصيدة إلى المعلم:

"هات من نسل الحمى خير عتاد و أدخرهم لغد جند جهاد؟

هات نشئا صالحا يبني العلا و يفك الضاد من أسر الأعادي

إن في يمناك شعبا كاملا يسري بين الظلم و اضطهاد" .[2]

و في قصيدة أخرى يخاطب التلميذ قائلا:

"شعبك الموثوق لم يبق له من عتاد فلتكن خير عتاد

رج الاستعمار في طغيانه كل يوم من ألوان اضطهاد

[1]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ،ج1 ، ص 127.

[2]- أحمد سحنون : الديوان ، ج1 ، ص 14 .

فليكن حاديك تحرير الحمى إن تحرير الحمى للحر حاد ".[1]

و لم يقتصر التعليم على البنين فقط ، حيث احتلت قضية المرأة مساحة واسعة من الشعر الديني الإصلاحي سواء تعليمها وحجابها أو ممارستها للعمل خارج المنزل.....، هذا الأمر كان محل جدل و نقاش وأخذ ورد منذ ظهور المدرسة الحرة و قد أشار إلى ذلك مبارك الميلي في مقاله المطول بعنوان تعليم المرأة الكتابة فقال " و لما أخذت حركة تأسيس المدارس ظهرت مشكلة من يعمرها من النشء ، فقال فريق نعمرها بالبنين والبنات و قال آخرون نعمرها بالبنين دون البنات ، و يكاد يخلوا مجلس من مجالس أركان الإصلاح التي يذكر فيها التعليم من الحديث في هذه النقطة ،وبدأ اسم المرأة يظهر على الصحافة الجزائرية ، و يفرض نفسه على رجال الإصلاح و الفكر وتتاد به العناوين البارزين (النساء – و الكمال) مثل (المرأة المسلمة المتعلمة حق النساء في التعلم) (أمهات المستقبل يتهيأن)" .[2]

و هنا نشير إلى ما قاله مؤرخ الحركة الإصلاحية مبارك الميلي ، وهو يدعو إلى وجوب تعليم الحقائق الدينية للبنت و كيفية تربية الأطفال و حتى يمكنها دفع الأذى عن نفسها:

"علموا البنت ما به تحصن النف س ، لينكف عن أداها اللئام

علموا المرأة حقائق في الدي ن ، فقد طرحت بها الأوهام

علموها كيف الرعاية للطف ل ، وكيف التلقين و الإلهام " .[3]

و على نهج مؤرخ الحركة الإصلاحية يسير محمد العيد مقتفيا أثره في قصيدة " نشيد نساء الجزائر " يقول:

[1]- أحمد سحنون : الديوان ، ج1 ، ص 16.

[2]- صالح خرفي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص ص 172-173.

[3]- المرجع نفسه : ص 174.

"سرن سير الحرائر خلق ركب العسائر يا نساء الجزائر

سرن نحو الذي دعا للمعاني ، و اسمها يا نساء الجزائر

قمن من رقدة الكسل و تحركت للعمل يا نساء الجزائر ".[1]

فهذه دعوة صريحة لتحرير المرأة نادى بها الشاعر ، حيث نجد محمد الصالح خبشاش الذي يقف في وجه من يدعون إلى حجاب المرأة و تركها في المنزل:

"فإلى متى هذا الحجاب ؟ إلى متى ؟ إلى التلاشي أم ليوم لقاء

و هل الشريعة حرمت تعليمها يا نجبة الأشياع و الصلحاء

فالشاعر يغمر بعض العلماء المصلحين الذين لم يرضوا بتعليم البنت " .[2]

و لقد تضافرت جهود شعراء الإصلاح في الحث على العلم و التحذير و التهاون أثناء التعلم ، و كانت دعوتهم صريحة إلى نبد الجهل .

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 521.

[2]- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص 89.

5 – محاربة الآفات الاجتماعية:

و في العصر الحديث بلغ سوء الأحوال الاقتصادية و الظلم و الفوضى و فساد الضمائر حده الأقصى إلى جانب الأمية و الجهل والمرض ، وناهيك عن ذلك المصير الطافح بالشقاء تحت بتر المستعمر ،واصدق وصف لهذا الوضع ما قاله احد الكتاب الجزائريين "لقد تسلط على الأمة عوامل ثلاثة لو تسلط عامل واحد منها على امة كبيرة ،لزعزع ركنها وهد بنائها أو وهي الجهل و الفقر و الفرقة فالجهل أفقدها شعورها بوجودها و كيف تدب عنه ، و الفقر أقعدها عن العمل و شل أعضائها عن الحركة و الافتراق آداب قوتها وذهب بريحها فبقيت و الحالة هذه عرضت للتلف و الإضمحلال و الهلاك ، و هي نتيجة طبيعية لتلك الحالة المحزنة التي جرها إليها الظلم و الإستبداد " .[1]

لذلك كان من واجب المصلح أن يثأر بما يدور في مجتمعه من أحوال ، وما يطفوا فيه من ظواهر بعين ترصد و تميز وبفكر ينصح و يحذر و لعل هذا ما قامت به "الحركة الإصلاحية منذ تأسيسها 1931م ، حيث بدأت تسجيل الانتصار تلو الانتصار في الميادين الاجتماعي و الثقافي ".[2]

و هنا حاول شعراء الإصلاح تبين سبل السعادة و طرق المجد ، و من أهم المشاكل التي سلط عليها الضوء ، نجد آفة الفقر و قضية السلوك الأخلاقي و في هذا المضمار سنسوق هذه الأبيات للشاعر محمد اللقاني المأخوذة من قصيدة نشرها في جريدة الأقدام الوطنية.

"بني الجزائر هذا الفقر أفقدنا كل اللذائد حينا يقتفي حينا

بني الجزائر استيقظوا فلكم آذاقنا اللهو و الإهمال تهوينا

[1]– صالح خرفي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص16

[2]– محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص 89.

بني الجزائر ما هذا التقاطع من دون البرايا... عيوب جمعت فينا

فقر و جهل و آلام و مسيغة يا رب رحماك هذا القدر يكفينا

حياتنا قط لا يرضى بها أحد و عشنا صارت زقوما و غسلينا ".[1]

فالشاعر من خلال هذه الأبيات ، يصور لنا لواعج نفسه و آلامه لما تفشى في المجتمع من فقر و جهل ، أما الشيخ أحمد سحنون نجده يرثي حال الفقير في قصيدته المعنونة (رب رحماك بالفقير) فالشاعر يناجي ربه طالبا منه أن يكشف الضر عن الفقراء.

"رب رحماك كما يعاني الفقير من أسى ماله عليه نصير

حظه من تعاسة الحظ في الدنيا و من شقوة الحياة كبير

يتلظى إهابه النار صيفا و شتاء يذيبه الزمهرير ".[2]

والشيء الملاحظ أن التأفف من الحياة أصبح سيمة بارزة نلمسها في جل القصائد التي تدعوا إلى الفضيلة وتقيح الرذيلة وتبين مدى مشاعتها حيث يقول " اللقاني " من السائح

"إلا فدع التغزل في عنوان فتلك طبيعة المستهترينا

فمن صوت البلاد لنا نداء يكاد المرء و يسمعه أنينا .[3]

[1]- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص 37.

. [2]- أحمد سحنون : الديوان ، ج1 ، ص 142.

[3]- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص 77 .

أما الشيخ أحمد سحنون نجده يمقت النفاق و الكذب داعيا إلى الصدق في القول و العمل يقول في قصيدته تحت عنوان "الصدق":

"لاشيء فوق أديم الأرض يعجبني كالصدق بين الورى في أقول والعمل

و ليس شيء لعمر الحق يؤلمني مثل النفاق و مثل الكذب في الرجل

هذا و يؤلمني أن أرى أثر للصدق و الكذب فاش غير منتقل "[1]

فلم يقف الشعراء عند هذه النقطة فقط بل تفاعلوا مع عنفوان المأساة وسجلوا النكبات التي أصابت الوطن ، كما فعل محمد الهادي ، السنوسي في قصيدته (نكبة الجزائر بطوفان سد فرقون) و الشاعر يستغل الفرصة ليحدث عن الرزايا التي يعاني منه الوطن

"رزايا الدهر ليس لها مرد و ليس لنا من المقدور يد

رزايا تعتري وطني تباعا و ليس لها مدى الأيام حد [2]

و على نفس المنوال يواصل الشاعر محمد النجار الحركاتي واصفا حادث احتراق عمال جزائريين في باخرة

"فلماذا أوزارنا في ازدياد و لماذا ارتحالنا متعمر

أرضنا منزل إلى كل رهط و علينا الخروج منها محجر

[1]- أحمد سحنون : الديوان ،ج1 ، ص 136.

[2]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ج2 ، ص 120.

آه يا حسرتي على أنفس ماتت على و جهها السواد مقفر "[1]

و قد سجل هذا الحادث كثير من الشعراء في قصائدهم وبكوا هؤلاء العمال واعتبروا "المستعمرين هم سبب ما يعاني منه الجزائري في وطنه من فقر و جهل و تأخر" [2]

ففي هذه الفترة يلاحظ الدارس ببساطة أن الشعر الديني قد طغى عليه الجانب الاجتماعي ، فهذا محمد العلمي يقول في كشف و نفاق وكذب النواب من أجل الفوز بالانتخابات

"فكلهم يقول أنا زعيم أزحزح عنكم كل العذاب

واطلب صلاحكم حقوقا تنال بها النجاة بلا ارتياب

و أقوال بظاهرها صلاح و باطن سراب في سراب" [3]

و قد اتخذ شعراء الإصلاح من المناسبات الدينية فرصة لتشخيص أمراض المجتمع ومحاولة معالجتها ويكون هذا بعد التفرغ من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث يتعرض الشاعر لرسم الواقع و النائبات التي حلت به وسوء الأخلاق و يتضح هذا قصيدته (قم يا محمد) للشاعر أبو اليقظان الذي يقول:

"الخمر في سوق التجارة رائج ارباها و الناس منها في جنون

أما الدعارة فهي زينة عصرنا أما الخنا فقدا شعار العالمين

عيب امرأ قال الصلاة فريضة و اشتغل الواعي إلى الله المعين

[1]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ج2 ، ص 122.

[2]- المرجع نفسه : ص 121.

[3]- المرجع نفسه : ص 118.

أما الزكاة فقد غدت مهجورة الصوم أنه مقراض سئل الفاعلين" [1]

رابعا – خصائص الشعر الإصلاحي :

ظهر الشعر الديني في جو معكر و معتم ،كان له الأثر العميق في تحديد السيمات الجوهرية التي تميزه عن غيره من الأغراض الشعرية الأخرى ، فمن الطبيعي أن تؤثر الأوضاع الاجتماعية بمختلف مجالاتها على ما يقوله الشعراء من قصائد " فقد أصاب الشعر على يد الحركة الإصلاحية تطور من الناحية الفنية حيث ابتعدت القصيدة عن المقدمات التقليدية المتكفلة ، و تخلصت اللغة الشعرية نسبيا من لغة المنظومات العلمية و الفقهية و اكتسبت التعبير نوعا من الانطلاق والحيوية وتخلصت من آثار الصنعة اللفظية والبديع المتكلف ،كما استطاعت بعض القصائد إن تعرف نوعا من الوحدة في الموضوع وان ظلت السيمة الغالبة عليها هي تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة .[2]

هذا مؤشر على أن الشعر الإصلاحي بدا يسر إلى الإمام بعيدا عن الرتابة حيث يرى عبد الله الركيبي " أن الشعر الإصلاحي بعامة يمثل مرحلة متطورة بالقياس إلى الشعر الصوفي التقليدي الذي لم يتطور شكلا أو مضمونا ، وهذا الشعر الإصلاحي يمثل مرحلة بين الشعر التقليدي و بين الشعر الحديث الذي جاء بعد ذلك بفترة طويلة "[3] ، و الذي لا يزال يقوم بالتخريب في مجال الشكل و المضمون.

"واستنادا لما تقدم نعلم أن شدة تأثر شعراء الإصلاح بالنمط الشعري المورث "فالرؤية التقليدية جعلتهم يتعاملون مع اللغة تعاملا وظيفيا يقتصر عموما على استغلال جانبها المعجمي ذي الدلالة المحددة ويمكننا أن نستثني بعض الأبيات تناثرت في مختلف القصائد التي استخدم فيها أصحابها المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية وهي قليلة جدا قيست

[1]–عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ،ج2 ، ص 102

[2]– محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص ص 30 ،31.

[3]– عبد الله الركيبي : لشعر الديني الجزائري الحديث ،ج2 ، ص 162.

بالأبيات الكبيرة تجئ لغتها تقريرية مباشرة ، و لا سيما القصائد التي تعالج موضوعات دينية أو اجتماعية التي يتغلب فيها الموقف الموضوعي على الشاعر فلا يسمح له فيه للذات بالظهور إلا ناذرا " .[1]

لقد أصبح الشعر في هذه الفترة يمثل القناة التي يبث الشاعر من خلالها رسالة ، إلى المتلقي وحتى يضمن وصول هذه الرسالة بدون تشويش يجب أن تكون لغته بسيطة تفهمها العامة وإلا ضاعت رسالته في الطريق ، وقد تمثلت خصائص الشعر الإصلاحي ب:

1-اللغة الشعرية و تميزت ب:

1-1-التقريرية و المباشرة : حيث تعود إلى فهم الشعراء لوظيفة الشعر ورسالته في الحياة ، فالشاعر يهدف إلى إيصال أفكاره إلى المتلقي و أصبح ينظر إلى الشعر بوصفه احد وسائل الإصلاح و النهوض و الوعظ ".[2]

و الإرشاد و التربية و التوجيه فمهمته الأساسية هي الإقناع لا الامتناع و لعل تصريح البشير الإبراهيمي يتوافق تماما مع ما تذهب إليه أن يأخذ الانحراف اخذ "كان على الشعر هو الآخر أن يهدم أو يبني ، كان عليه أن يأخذ الانحراف اخذ عزيز مقتدر ، يوسعه فضحا و تعريه و تعقبا و مطاردة و تمزقا لحجب القداسة ستار الغموض و كان عليه أن يمدح الإصلاح بالفكرة الواضحة ".[3]

[1] - محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص 277.

[2] - المرجع نفسه : ص 282.

[3] - صالح خرفي :دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 35.

1-2- الوضوح والسهولة :

حيث طبعة هذه الخاصية الشعر الإصلاحي بطابع السهولة والبساطة ،ارتبط هذا في حقيقة الواقع بالمجتمع من جهة و بالشعراء أنفسهم من جهة أخرى ، فمن حيث جانب المجتمع ل كان تقف على الواقع بصورة الفقر والحرمان و الأمية و الاضطهاد و كلها سمات تدفع إلى التمسك بالواضح في المخاطبة و المقارعة ، أما ما كان مرتبط بالشعراء ،فيشرح محمد ناصر قائلا " يلاحظ في لغة الشعراء الإصلاحيين ما تمتاز به من بساطة ويسر وسهولة و مرد ذلك يعود فيما نحسب إلى أسباب منها أن الشعراء الإصلاحيين بحكم رؤيتهم للغة لم يحاولوا التعامل مع اللغة تعاملا غير عادي باستخدام الرمز اللغوي أو الإتيان لعلاقات جديدة بين الألفاظ ،لقد بقيت اللفظة عندهم في حدود المعجمية فلم يحملوها على غير محملها ولم يفجروا فيها أبعادا جديدة مدهشة ".[1]

أما السبب الثاني "يعود إلى موقفهم ورؤيتهم النقدية لوظيفة الشعر ، فقد كان الشعراء أنداك لجمهور الشعب ، و يستخدمون الشعر آداة من أدوات الإصلاح فالواحد منهم إنما يتوجه بعمله الشعري إلى الغير لا إلا نفسه و يلتفت إلى الجمهور المتلقي الذي يهم هان يفهم عنه ويقتنع بآرائه ، ومن كم فهو يحاول أبدا أن يكون واضحا في ألفاظه و معانيه ، يتوخى البساطة المتناهية في الألفاظ و التركيب ".[2]

و لك أن تتأمل في قول رمضان حمود حيث يعرف الشاعر الحق قائلا " لا يسمى الشاعر شاعرا عندي إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونها بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسقة ، إلا أن يكلمون في القرن العشرين بلغة امرؤ القيس و طرفة و المهلهل الجاهليين الغابرين ".[3]

---

[1]- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص287.

[2]- المرجع نفسه : ص287.

[3]- المرجع نفسه : ص 288.

"أما السبب الثالث فيعود إلى طبيعة المعجم الشعري الذي كان متداولا من طرف الشعراء الإصلاحيين ، حيث كانوا يتقاربون في معجمهم اللغوي و تتماثل أساليبهم وصورهم فتتقارب نظرتهم وتتشابه صياغتهم ."[1]

إما السبب الرابع بغزوه إلى إعجاب اغلب هؤلاء بمدرسة الأحياء العربية ، بحيث كانوا مدمنين على قراءة أشعار احمد شوقي وحافظ إبراهيم و معروف الرصافي و غيرهم مما ترك أثرا واضحا متمسكا في معجمهم الشعري و أسلوب الصياغة و البناء عندهم ، ومن أمثلة خاصية الوضوح تورد شعر محمد العيد أل خليفة في قصيدة "دعاك الأمل" حيث يقول:

"دعاك الأمل لخير العمل

فخل الوثى فهم على عجل

أصغنا المنى بقرط المهمل

فهل نفخة تزيل السنل

و هل صرخة تهز القلل ؟"[2]

1-3- المتانة و الجزالة و القوة :

و هو مؤشر على تمكن جيد لشعراء الإصلاح من ناحية اللغة و خصائصها و ألفاظها و مفرداتها مما جعل معجمهم الشعري غني بالألفاظ الجميلة ، كما انه أصبح معجما ثريا واسع الثراء و لغتهم تجلت صحيحة وسليمة بسبب أنهم لم يتساهلوا أبدا في استخدام لغة ضعيفة أو تعبيرات ركيكة.

[1]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ،ج2 ، ص 157.

[2]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 213.

فالاقتباس من القرآن الكريم وظفه الإصلاحيين بمهارة و ذكاء ، فأعطى لألفاظهم المتانة و القوة و مثال ذلك ما أورده محمد العيد آل خليفة في قصيدة "هذيان آشيل"

"فليس فيسه لأعلى الناس منزلة عدن و فيه لأذى الناس سجل" [1]

و هو واضح هنا لأن الاقتباس تم من سورتي البينة و الفيل .

1-4- التقليد و الإتباع :

و هي ميزة أخرى أساسية ارتبطت بالشعر الإصلاحي وذلك لانهمر أو في المحافظة على القديم والتمسك به هو من صميم المحافظة على التراث الأصيل ، و هذا بالطبع كان هدفا من أهداف الحركة الإصلاحية ، يقول عبد الله الركيبي " أن حركة الإصلاح تلج على التراث و تتمسك به و من ثم راحت تشيد بشوقي و حافظ و الكلاسيكيين الذين ارتبطوا بهذا التراث و أعادوا به مكانته" .[2]

و يؤسس لهذا المنطق الأستاذ صالح خرفي في كتابه الشعر الجزائري فيقول "الشعر الجزائري في نهضته الحديثة استمد من رافدين أساسيين ، النهضة الأدبية الحديثة في الشرق و التراث العربي القديم الذي تعتبر النهضة إحياء له ، و كان للتعلق المفرط بشعراء النهضة الحديثة في المشرق اثر كبير في تركيز الطابع التقليدي على القصيدة الجزائرية الأولى التي تسعفها الظروف بالاتصال المباشر بالمنابع الأولى ".[3]

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 81.

[2]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ج2 ،ص 65.

[3]- صالح خرفي : دارسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 635.

إن تمسك الإصلاحيين بالقديم إنما كان دوقا يطبع على قصائدهم مسحة من الجمال لأنه كان بالنسبة لهم المثل الحي الذي وجب أن نهتدي به يقول محمد العيد في قصيدته "يا معشر الطلاب "

"فاز المجد المعتنى بمرامه فتنافس الأمجاد في إكرامه

قد هيأت خضر الرياض طيورها لكلامه و زهورها لسلامة

و دنت له كل المنى و أطاعه حتى الزمان فعاد من خدامه .[1]

2-الصورة الشعرية :

و هذه الخاصية الفنية في حقيقية الأمر صبغت بالضعف في الشعر الجزائري عموما وعند الإصلاحيين بشكل خاص و و في هذا يورد محمد ناصر قوله" قد لا يكون من قبيل التعجل في الحكم القول بان الجانب الفني في الشعر الجزائري في هذا الاتجاه ظل في الأغلب الأعم ضعيفا وان ضعفه يرجع أساسا إلى ضعف عنصر التصوير فيه ".[2]

رغم هذا التقرير فإنه لا يمكن أن نصدر حكما قاطعا بأن الصورة كانت غائبة تماما و لكن المراد هو أن حضور هذه الخصيصة كان ضعيفا فوجب التنبيه ،للوقوف على اهتمام شعراء الإصلاح بالصورة الشعرية نورد خصائصها فيمايلي:

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ،ص 85.

[2]- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث ،ص 422.

2-1- الوضوح:

المقصود هنا كلما كانت الصورة واضحة فإنها لا تستحق استعمال الخيال الواسع أو بذال الجهد في فك الرموز وتشفيرها ومثال ذلك ما قاله الشاعر أحمد سحنون في قصيدته"يا بلادي"

"كل شيء نسيته يا بلادي و تلاشت أطيافه من فؤادي

غير ذكراك فهي تكمن في قلبي كوت اللظى بقلب الرماد

و السند في الزهور و الحب في الأشحاء و الكبرياء في الاطراد

فإذا ما بد الصباح تجلت أغنيات سحرية الانشاد "[1]

فالصورة سهلة و واضحة بعيدة عن جنوحها للخيال الواسع.

2-2- الحسية و الشكلية :

و نقصد به إن نصف الشيء وصفا حسيا شكليا كما هو بخصائصه وأركانه "والمراد بالحسية و الشكلية ميل الشعراء إلى وصف الأشياء وصفا حسيا يتناول الخصائص الثابتة كاللون والحجم والشكل والوقوف عند هذه الجوانب التي تعتمد أساسا على حاستي البصر والسمع دون التغلغل إلى مواطن الأشياء والنفاد إلى جواهرها باستخدام الحدس والخيال لتحفيز الوعي والمنطق والعقل " .[2]

و مثال ذلك ما جاء في قول الشاعر رمضان حمود:

[1]- أحمد سحنون : الديوان ،ج1 ، ص 92 .

[2]- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ،ص 445.

انظر إلى الكون البديع بنوره و طلامه و سكونه الرحامي

و نسيمه و هو به ومياهه و حزيرها و جمالها الفتان

و سحابه بسمائه متقطعا عند الغروب و هو أحمق قاني

متشتتا كالفلك في إمسائها فإنه قطع من المرجان

2-3- الجمود:

و هي أن تقوم الصورة جامدة تماما كالشيء الذي تلامسه اليد أو تبصره العين ، و من هذا المنطق كرس شعراء الإصلاح هذه الخاصية في شعرهم مما طبع قصائدهم بالجمود و انغلاق النفس فلا خيال ولا إحياء ول كان تقف مع أحمد سحنون في هذه القصيدة تحت عنوان "مناجاة البحر"

"يا صامتا يتكلم وضاحكا يتألم

و يا خطيبا بليغا و معربا هو أعجم

و مانحا كل سر لشاعر يترنم

لكنه عن سواه سرى يتكلم

يا راضيا مطمئنا و ساخطا يتبرم "[1]

فرمضان حمود يرى انه من واجب الشاعر أن يتنازل بشعره إلى المستوى الذي تفهمه العامة ويتضح ذلك من خلال

[1]- أحمد سحنون :الديوان ، ج1 ، ص 32.

قول الشاعر رمضان حمود "لا يسمى الشاعر عندي إلا من إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونها" .[1]

و النتيجة التي نصل إليها من خلال قول الإبراهيمي ورمضان حمود هي أن وظيفة الشعر التصريح والبعد عن التلميح و هكذا يصبح من الطبيعي أن تخلو الصورة من عنصر التصوير "بسبب سير الشعراء على النهج الذي اختطه النقاد العرب القدماء فيما اختطوه لعمود الشعر المتمثل الإصابة في الوصف و المقاربة في التشبيه و مناسبة المستعار منه للمستعار له ، و بالعودة إلى النصوص النثرية التي يتحدث فيها الشعراء عن مفهومهم للشعر ورسالته ووظيفته نجده قلما إلتفتوا إلى المعنى بالصورة والخيال ، وإنما كان اهتمامهم منصب على الأفكار ، و المعاني و القواعد العروضية و النحوية " .[2]

و من أبرز الأسباب التي تعزي لها ضعف الصورة الشعرية هي تلك النظرة الموضوعية المسيطرة على رؤى الشعراء الجزائريين التي دفعت به إلى المبالغة في تسخير الشعر في سبيل الوظيفة الاجتماعية " .[3]

ومافتئ شاعر الإصلاح لسير على هذى القدماء" إذ لم يزل النموذج القديم حيا في الذاكرة الشاعر الإصلاحي معتبرا بيت القصيدة هو المحور الذي يجب أن يستقطب منه المجهود الفني والفكري ،مما جعل البناء العام للقصيدة نظما لأبيات مفككة يكاد كل بيت فيها يستغل بنفسه كما يمكن التقديم والتأخير في أبيات القصيدة دون أن يحدث تشويش في الأفكار أو تمزق في الصورة ".[4]

[1]- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث ، ص 288

[2]- المرجع نفسه : ص 438.

[3]- المرجع نفسه : ص 468.

[4]- المرجع نفسه : ص 596.

3-الموسيقى الشعرية :

اتبعت قصيدة شعراء الإصلاح مثيلتها المشرقية في الجانب الإيقاعي ، حيث خضعت للوزن والقافية بشكل مطرد مقتفية أثار القصيدة التي تعبر بنية البيت الشعري المكتملة هي أساس بناء القصيدة ".[1]

لهذا عمد شعراء الإصلاح على تفعيل هذه الخاصية فجعلوا من البيت منطقا في بناء نصوصهم ،ومن البيت ينطلق الإيقاع بأهم مقوماته فغي شعرية التقليد ،وهما الوزن والقافية اللذان لم يعرفا مع شعراء الإصلاح غير التكرار واستحضار الماضي بأوزانه واضربه المختلفة ومثال ذلك ما نقراه لمحمد العيد في قصيدة حول العالم تحت عنوان" استوح شعرك"

"العلم سلطان الوجود ، فسد به من شئت اودد عن حياضك وادفع

و الجأ له بدل الحصون فلا أرى حصا كمدرسة سمت ، أو مصنع" .[2]

فالتشكيل الموسيقي للقصيدة لدى شعراء الإصلاح نجده لم يخرج عن ذلك النظام فالتشكر الموسيقى الذي ارسي قواعده الخليل بن أحمد الفراهيدي "حيث ظلت نظرة الشعراء الجزائريين المحافظين مرتبطة بنظرة النقد العربي القديم الذي يولي الجانب الموسيقي في العمل الشعري أهمية عظيمة .

"و ظلت النظرة إلى الإبداع الشعري تقاس بالمقياس التقليدي المعروف على أن الشعر كلام موزون مقفى وكانت هذه النظرة تتماشى مع وظيفة الشعر الجماهيرية ،فان شاعر الإصلاح لم يكن يتصور قصيدة إلا كما يتصورها الشاعر في العصور القديمة على أنها تنظم لتلقى في جمع مما غلب عليها الخطابية المعتمدة أساسا على التنغيم والتطريب. "[1]

[1]- مشري بن خليفة : الشعرية العربية مرجعيتها وإبدالاتها النصية ، دار حامد للنشر و التوزيع ، عمان ، د ط 2010 ، ص 91.

[2]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 136.

4–طغيان النبرة الخطابية:

إن الشيء الذي يظهر بشكل سافر في الشعر الإصلاحي هي تلك "النبرة الخطابية التي طغت بشكل لافت للنظر لدى شعراء الإصلاح حيث ارتكزوا في صياغة قصائدهم على الأدوات المستعملة في الخطب عادة كأدوات الاستفهام والأمر والنهي والتوكيد والنداء والإكثار من صيغ التعجب و الإنكار والتحريض والتخصيص والقسم وغيرها من أساليب اللغة العربية الإنشائية " .[2]

يقول محمد العيد مستفهما :

علام يظل دهرك مسترتبا تسأله ويأبى أن يجيبا ؟

5–تأثر الشعراء بالقرآن الكريم في أسلوبهم:

حيث استوحوا معانيه و تراكيبه و ذلك من خلال أثر دراسته للثقافة العربية و إعجابهم ببيانه العربي الساحر ، و قد أعجبوا بالشعراء القدماء مما جعلهم يكثرون من التضمين حيث يضمنون شطرا أو أكثر في أبياتهم .

و من هنا كثرت الحكمة في شعر الإصلاحيين وأيضا الجري وراء الفكرة الهادفة أو البيت المفرد الذي يصبح مثلا يتناقله الناس أو يتعضون به وهي خاصية أخرى في الشعر الإصلاحي ."[3]

و بناءا على ما تقدم يمكن ملاحظة بساطة أسلوب الشعر إلا ووضوح أفكاره الشيء الذي أبعده عن الفنية وأوقعه في النثرية كما في التجديد فيه مرهون بالمحافظة على قداسة اللغة .

---

[1]– محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، ص 192.

[2]– المرجع نفسه : ص 611.

[3]– عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ج2 ، ص 152.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : تجليات النزعة الإصلاحية في الشعر الجزائري الحديث

المبحث الأول : تجليات النزعة الاصلاحية في شعر محمد العيد آل خليفة

أولا : التعريف بمحمد العيد آل خليفة

ثانيا : نزعته الاصلاحية

ثالثا : موضوعات شعره الإصلاحي

رابعا : خصائص شعره الإصلاحي

المبحث الثاني : تجليات النزعة الاصلاحية في شعر محمد السعيد الزاهري و الطيب العقبي

أولا : التعريف بمحمد السعيد الزاهري و نزعته الاصلاحية

ثانيا : موضوعات وخصائص الزاهري الاصلاحية

ثالثا : التعريف بالطيب العقبي ونزعته الاصلاحية

رابعا :موضوعات و خصائص شعر العقبي الإصلاحية

المبحث الأول : تجليات النزعة الإصلاحية في شعر محمد العيد آل خليفة :

أولا– التعريف بالشاعر محمد العيد آل خليفة:

هو محمد رضا العيد بن محمد بن علي بن خليفة ، ولد في 28 أوت 1904 ببلدية عين البيضاء ولاية أم البواقي وسط عائلة دينية محافظة متصوفة ، استكمل حفظه للقرآن الكريم في بسكرة على يد أئمتها ثم " توجه إلى دراسة الفقه والنحو و المنطق وغيرها من العلوم الدينية واللغوية على يد الشيخ على بن إبراهيم العقبي ".[1]

سافر عام 1921 م إلى تونس وبالتحديد للدراسة في جامع الزيتونة وأخذ العلم عن شيوخها الكثير من العلوم كالبلاغة والفقه والتفسير ومن هؤلاء الشيخ الطيب العقبي ".[2]

التحق بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها و صار من أبرز أعضائها وكان شعره أداة من أدواتها وسجل لمواقفها وكتابا لتاريخها "و لقب بشاعر الشباب وشاعر الفتاة بل شاعر الشمال الإفريقي بلا منازع "[3].

وقد عد من أبرز العلماء والمدرسين والشعراء الجزائريين الذين كافحوا الاحتلال الفرنسي وخدموا دينهم وأمتهم و وطنهم ، و من آثاره التي خلفها ، أنشودة الوليد ، ديوان محمد العيد ، و كذلك بلال بن رباح وهي (مسرحية) ،توفى محمد العيد في 31 جويلية عام 1979 م.

[1]– محمد بن سمينة : محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،دط ، دت ،ص 90.

[2]– المرجع نفسه : ص ص 9-10.

[3]– محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 06.

ثانيا : نزعة محمد العيد آل خليفة الإصلاحية :

تعد الحركة الإصلاحية اللبنة الأولى في بناء و تكوين المجتمع المسلم الخالي من الأمراض حيث حملت على عاتقها مسؤولية الذوذ عن الوطن و الدين ، محاولة بذلك السير بالأمة نحو الأمام عن طريق تحريرها من كل قيد ، و في هذه الأثناء ظهر محمد العيد الذي يعتبر من " الأشخاص المرموقين في هذه الحركة التي رفعت لواها جمعية العلماء منذ سنة 1931 والواقع أن عمله لم يكن مقتصرا عن مهنته كمدرس ناجح ،بل كان عمله أوسع من هذا فهو مثلا كان داعية ويدعوا الناس للصلاة ، ويحضر الاجتماعات العامة ،و ينظم الشعر في الدعوة إلى هذه الحركة ،و يكفي الدلالة على ارتباطه بهذه الحركة الإصلاحية و تمثله لها ما جاء في قصائده المنشورة في جريدتي الشهاب والبصائر ، و في ديوانه ثم جاء في شعره الإشادة برجالها و مؤسساتها ، يقول محمد العيد باسم هذه الحركة "أنهم الدعاة إلى الطريق المستقيم ،وليس فيهم مجرم ولا آثم ، وأنهم يؤثرون السلم على الحرب ويفصلون التطور والكلام عن الثورة والسلاح "[1] ، انطلق شاعرنا دون توقف مستلهما أفكاره من الدين ويقيم ركائز في دعوته وفي هذا المقام سنتناول عدة نماذج شعرية نؤكد بها طبيعة منهجية ورغبته الشديدة في أن يعتنق الشعب تعاليم الشرع بصدر رحب ومن ذلك قوله :

"نحن حزب مصلح سلفي معرق في المؤمنين أصيل

طوع أمر الله ماجدّ جد في التعاريف وجلّ جليل "[2]

أما قصيدة "يا فؤادي " نجده يفصح عن حسن نيته ورغبته في تحرير وفك أسر الأمة من ظلمات الجهل والتخلف

"و قصدي صلاحا بأرض الفساد "[3].

[1]– أبو القاسم سعد الله : محمد العيد رائد الشعر الحديث في الجزائر ،دار المعارف ،مصر ،ط2 ،1975 ،ص104.

[2]– محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 130.

[3]– المصدر نفسه : ص54.

ويحاول في دعوته أيضا جلب الأمة نحو الصلاح ،وذلك لحثها على إحياء الماضي المجيد والتشبث به :

"فردّوا مجد ماضيكم وحوطوه بأرصاد

وقوا أنفسكم نا ر عدوات وأحقاد "[1]

ويفصح مجددا مطلبه ، موضحا مدى ارتباطه بالفكر الإصلاحي:

اركبا بي متن النجاح وخوضا بي عباب الإصلاحي فهو عبابي"[2]

فالشاعر يعد من "أوائل الذين نذروا أنفسهم للإصلاح، تعليما للناشئة وتوعية الجماهير في سبيل الأهداف الوطنية الغالية ونهض شعره بهذه المهمات النبيلة ،فكان نورا للشعب يضيء جوانب الطريق وكان نارا متأججة يحترق بها المستعمر "[3] ، ويحث على التآخي والعمل على نشر الهدى.

"يا شباب العلى اعتصم بالتآخي زانك الله في العلى من شباب "[4]

في حين يصادفه يتوجه لها أصاب القرآن من أدبه على يد أقوامه:

"يا معشر الطلاب هل من أخذ بالذكر أو متمسك بعصامه؟

و لكل شيء في الحياة أذيّة وأذّية القرآن من أقوامه"[5]

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ،ص78.

[2]- المصدر نفسه: ص87.

[3]- محمد بن سمينة : المرجع السابق ،ص59.

[4]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ،ص88.

[5]- المصدر نفسه : ص90.

فمن واجب المصلح أن يتصف بالحلم الذي يجعله قادرا على إعادة رسم الطريق وتثبيت معالمه ، حتى تترسخ الأفكار في الأذهان وغرس التقوى في النفوس ،وهذا ما دعا إليه محمد العيد الذي أثبت قدرته في استيعاب فكرة الإصلاح وتفانيه في تنفيذها على أرض الواقع ، و ها هو يدعو رفاقه إلى المحافظة على التقدم:

"أبقوه للإصلاح أبهر آياته وأظهر عنوان و أزهر ميسر

أعيدوا للدين عهد طلوعه على الأرض فجرا جلى كل مظلم"[1]

ويشير الشاعر إلى النوادي التي تدعوا إلى الإصلاح ،وهذا الأمر جعل العديد من قصائده تدور في نفس الفلك ، والجرائد أيضا التي تنطق باسم جمعية العلماء المسلمين وكمثال على ذلك قصيدة (تحية جريدة السنة):

"لا صبح إلا سنة نبوية فمحص بها الآراء وأجل المقاصدا

و حولك أسياف لها و أسنه تقارع عنها المحدثات الزوئدا

رجالات إخلاص ومبرة بها وذوو عزم يدك الشدائدا

يريدون وجه الله فيها تسنوا به لا يريدون الرشى والفوائد "[2]

وفكرة الإصلاح أصبحت لا تفارق مخيلة الشاعر ،ففي قصيدة (عيد الحرم) نجده يسلط الضوء مرة أخرى على دعاة الإصلاح وذلك إثر انتخابات المجلس الإداري لجمعية العلماء فيقول في نصحهم:

"يا وفد لا تنم الليا لي في رباطك لا تنم

وأشد على الإسلام آر كان الفخامة والعظم

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 92.

[2]- المصدر نفسه : ص97.

دين اشتراع الصّالحا ت ودين إيفاء الدّمم

دين المواقف و المرا شد والمكارم والعصم

فامنعه من كل الأذى منع الضّراعم للأجم "[1]

فالشاعر يكافح من أجل تربية المجتمع على نيل المكارم فهو يمثل دور المربي الفاضل المخلص لدينه و وطنه، وفضل هذا يعود إلى تربية والده التي أجملها في قوله :

"رحم الإله أباك إذ رباك بالعلم الصحيح ومحكم القرآن"[2]

فالشاعر يبث الهمم والعزيمة عن طريق دعوته المستمرة إلى الشباب وحثهم على العمل الصالح ونبذ الكسل والتواكل فيقول:

"اعمل كما عمل الرجا ل الصالحون بلا سأم

واعرف لأمتك الكريـ مة حقها بين الأمم "[3]

ثم يعلن في قصيدته (دعاة إلى الحسنى) أن الكتاب والسنة هما العروة الوثقى التي يجب التمسك بها.

"يا من تلمس من عاداته حكما أخطأت ليس سوى القرآن من حكم

الصلح خير وأحرى أن يلاد به ما لم تدس حرمات الله بالقدم "[4]

[1]–محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 100.

[2]– محمد بن سمينة : المرجع السابق ، ص 18.

[3]– محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 101.

[4]– المصدر نفسه : ص 103.

ويوضح هذه الفكرة بما قاله في قصيدة (سلوا التاريخ):

"بني الإسلام أحيوا الدين أحيوا شعائره وأوفوا بالعقود

فدين محمد دين الترقي ومجد محمد مجد الخلود "[1]

ومما لاشك فيه أن الشاعر متشائم على حال أمته نتيجة إفراطها في التعلق بالهوى لكن الشيء الذي يجعله يتفاءل ويواصل دعوته الإصلاحية علمه بأن الله سينصر الدين :

"حكم الله للهدى بالظهور رغم حرب الهوى وحرب الفجور

وألان الصدور للدين حتى أصبح الدّين راحة للصدّور

فطوى الأرض ساريا في النواحي سريان الضياء عند البكور "[2].

لذا نجد في قصيدة (فتح جديد) يعرب عن نبل مقاصده ،وشرف معانيه داعيا الأمة لإعلان الحرب على الهوى ،مبينا لها خير مثال:

"يا أيها الشعب استبق للصالحات وطل يدا

إني أراك منكرا بين الشعوب منكّدا

ودع الهوى إن الهوى لك في العداشر العدا

حكم هدى الإسلام تر ض الله ترض محمّدا

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 201.

[2]- المصدر نفسه : ص 105.

واقف الهداة الرّاشد ين الراكعين السّجدا"[1]

يمكن القول أن الدين في نظر الشاعر هو أساس الحياة ، والسبيل الوحيد المؤدي إلى العز والعيش الرغيد ففي قصيدة (هيهات يخزي المسلمون شيء من هذا القبيل) :

وشريعة تعطى الحقوق سوّية للناس لا ميزا و استنثارا

شمس من الأفق المقدس أشرقت فارتدّ ليل العالمين نهارا

ومحجة بيضاء من لم يعتصم بسوائها ظلّ السلوك وحارا

هيهات يخزي المسلمون ودينهم علم الخلود يظلّل الأقطارا "[2]

وحاول أيضا الشاعر في قصيدة (كلمة في رسالة) التي حاول الشاعر من خلالها الدعوة إلى توخي الحذر عن طريق اغتنام فرصة في العبادة قبل مفارقتها.

شرع الإله الدين لإتباع ودعا إليه الخلق بالإقناع

فإليه بادر بالرجوع ملبّيا قبل القضاء عليك بالإرجاع "[3]

فالشاعر صادق في دعوته إلى التمسك بمبادئ الدين الإسلامي فهو رجل يحب الخير لأمته ، وفي هذا يقول الإبراهيمي "و من يعرف محمد العيد ، ويعرف أن روح إيمانه وتقواه ،وتدينه وتخلقه بالفضائل الإسلامية ، يعرف أن

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص ص 183-184.

[2]- المصدر نفسه : ص ص 112-113.

[3]- المصدر نفسه : ص 140.

روح الصدق المتفشية في شعره ،إنما هي من آثار صدق الإيمان ،وصحة التخلق ، ويعلم أنه من هذه الناحية بدع في الشعراء "[1]

ولم تقتصر دعوته الإصلاحية على معانقة الدين فقط، بل تنبه إلى المقارنة للأمم ،بدليل ما قاله في قصيدة (تحية الشبية).

"يا حماة البلاد يا فتية الضّا د ترى هل لكم من الرأي مغنى؟

سار جيرانكم مع العصر شوط ووقفتم مابين وهم و وهن "[2]

ونجد هذا المعنى أيضا في قصيدة (تحية ووصية) التي ألقاها بمناسبة احتفال مدرسة الشبيبة الإسلامية

خذوا حظكم منها كبيرا فإنكم كبار وأمثال لها جدّ أمثال"[3]

فالشاعر لم يكن مقصرا في نشر دعوته الإسلامية ،بل كان يسارع إلى نصح الأمة وتوجيهها لسبل الفلاح حيث "غرد طويلا للجزائر الوطن العربي والعالم الإسلامي فأعطى الشعر والوطن خمسين سنة من عمره إنتاجا وعملا ونضالا فكريا ولم يتوقف إلا بعد أن زحفت عليه متاعب صحية مختلفة لينجز آخر قصيدة له محييا العالمين الجادين ، داعيا الجيل الجديد للعمل والإخلاص فيه فكان "محمد العيد" شاعر النهضة الوطنية وشاعر الإصلاح والنضال القومي "[4].

[1]- صالح خرفي : محمد العيد آل خليفة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1984. ص 14.

[2]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 109.

[3]- المصدر نفسه : ص 126.

[4]- عمر بن قينة : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص 70.

ثالثا : موضوعات شعره الإصلاحي :

لقد استجاب الشاعر للموضوعات الجديدة واسهم في أغلب الفعاليات الدينية والاجتماعية والسياسية و الثقافية، فالإصلاح عنده لم يقتصر على موضوع واحد بل انقسم إلى عدة مواضيع نذكر منها:

1-محاربة البدع والخرافات :

يحارب الشاعر أهل البدع والخرافات ،فنجده يغمز هؤلاء المنحرفين في الكثير من المناسبات فيقول :

"وفشا الدجل فالولاية دعوى كل ذي سبحة تطول وذقن

وغلا القوم في الولىّ فظنّوا أنه كالإله يغني ويقنى

ضاق موسى بعلم صاحب موسى بلْه بُله أتوا بإفك وأفن

وتنادوا فبدعّوا مصلحيهم ومتى كان مصلح غير سني ؟"[1]

وبعد الحادث المروّع الذي أصاب الشيخ ابن باديس على يد واحد من أتباع الطرق المنحرفة يعلن الشاعر الحرب على هؤلاء الدجالين.

"حمتك يد المولى وكنت بها أولى فيا لك من شيخ حمته يد المولى

وأخطأك الموت الزّوام يقوده إليك امرؤ أملى له الغيّ ما أملى

فيا لوضيع النفس كيف تطاولت به نفسه حتى أسر لك القتلا

و نالت في جنح الدّجى بهراوة فأدماك بل أدمى الكرامة والفضلا "[2]

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ،ص111.

2- المصدر نفسه : ص 122 .

حيث اتخذ الشاعر من هذا الحادث مناسبة مدح فيها الشيخ ابن باديس وذريعة لكي يهاجم في عنف ،ودون تستر أصحاب البدع والغلو في الدين :

ولم يلبث الأشرار حتى تآمروا عليه فلم يألوه من شرهم خيلا

أرادوا به الفتك الذريع وما كان للفتك المراد به أهلا

وحملتم يا قوم هدى محمد من الزيغ أقوالا لاينوء بها حملا

فصوّرتم الاسلام كالليل قائما من الزيغ و الاسلام كالصبح أو أجلي

فهل كان دين الحق جهالة وهل كان أهله زعانفة غفلا ؟ "[1]

ويتطرق إلى تحذير الأمة من الوقوع في الشرك الذي تعددت مظاهره ، كما يمكن لهذا الداء أن يصيب النفوس دون علمها ، مما يتوجب تجنب الشبهات سوى التمسك بدين التوحيد :

"واحذر شراك الشّرك فهي كثيرة شتى المظاهر جمّة الأنواع

كم واقع فيها و يحسب أنه في الدين حّر العقد رحب الباع

الشرك داء في البرّية كامن مستفحل الأضرار و الأوجاع

فاقبس من التّوحيد أعظم جذوة وتمشى تحت ضيائها اللّماع "[2]

ويتعجب الشاعر من الدين تتضرعون إلى الأموات فيقول :

1- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص .123

[2] - المصدر نفسه : ص 140.

"سمعتك تدعو الميت في القبر ضارعا فيا عجبا للحي يستصرخ الميتا "[1]

نلاحظ بأن محمد العيد قد آلمه ما أصاب الدين على يد هؤلاء الضالين ، فيوضح محاسن دين التوحيد و ينتقص من قدر أهل المرابطين الدين يدعون للتدين الزائف

2- محاربة المستعمر :

يدعو الشاعر محمد العيد في أشعاره إلى محاربة المستعمر و الحث على الجهاد و التضحية في سبيل نيل الحرية ، وقهر العدو الظالم الذي يريد أن يطفئ نور الإسلام و يرفع الراية المسيحية على أرض الوطن و مسخ هويته و مبادئه

فالشاعر لم يستطع أن يصبر على هذا فعندما "بلي المصحف في آوائل هذا القرن بمعبر فرنسي اسمه آشيل في سلسلة مقالات كتبها في جريدة (الديبش) بقسنطينة "[2]

هيهات لايعتري القآن تبديل وإن تبدل توراة و إنجيل

قل للذين رموا هذا الكتاب بما لم يتفق معه شرح وتأويل

ما بال آشيل "الديبش"يسخر من آيات محكمة لا كان آشيل

ما بال آشيل يزري المسلمين وهم غرّ العرائك أنجاب بهاليل

أفكارهم بهدى القرآن ثاقبة فلا يخامرها في الرأي تضليل "[3]

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 363 .

[2]- صالح خرفي : شعر المقاومة في الجزائر ،ص 267.

[3]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص ص 85-86.

فالشاعر يأبى المساس بالدين و السخرية من المسلمين لذلك نراه شديد اللهجة في رده على المعتري آشيل ،في قصيدته (تحية جريدة السنة) إلى دعوة الشعب إلى التمرد ضد قمع المستعمر بهدف استرجاع الحقوق الضائعة فيقول :

"يا أيّها الشعب اتخذ لك أعينا من الحزم واستشرق حقوقك ناشدا

ومن أخذل الخذلان انك فاقد ولاءك مزهو يكونك فاقدا"[1]

ثم نجد الشاعر يصرح في وجه العدو ويكف الأذى ويرجع الحقوق المسلوبة ،وبعد ذلك يخبره بأننا أحرار وحتى إن طغى عليا العدو والطغاة.

يا فرنسا ردي الحقوق علينا وأقلي الأذى وكفي الوعيد

نحن رغم الطغاة في الأرض أحرا ر وإن خالنا الطغاة عبيدا "[2]

فالشاعر استوعب وأدرك ما أخذ بالقوة لن يستعان إلا بالقوة لذلك " تخلى عن نغمته الهادئة ومال إلى الثورة بعد فشل المساعي السلمية " [3].

فهو يبث الحماس والتفاؤل في نفوس الشعب ويدفعه إلى البطولة والجهاد والتضحية يقول :

"أتخضع للضّيم يا بن الأباة وتطرق مستسلما للأذيّة

أما في عروقك أزكى الدّما أما في فؤادك أذكى الحميّة

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان،ص98.

[2]- المرجع نفسه : ص 294.

[3]- محمد بن سمينة : محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته ، ص 99.

حنانك أنت رسل النجاة فأدرك من الهالكين البقيّة "[1]

أدرك الشعب الجزائري أن استرجاع الحقوق المهضومة يكون جراء التمرد و التمادي فيخوض بذلك الحرب على المستعمر وهذا ما وضحه الشاعر في قصيدة "مناجاة بين أسير و ابن بشير" :

"و ما شعب الجزائر غير شعب سخي بالفدى حر الضمير

لقد ضحى بثورته فأضحى بها في الصبر منقطع النضير"[2]

ففي قصيدة "صوت جيش التحرير" يصور الشاعر سنوات الكفاح و النار التي تحرر من خلالها الشعب من قيود المستعمر فيقول :

"واقتحمنا الهيجاء نارا تلظى كل صال منا بعالا يبالي

و أدرنا رحى الوغى فانتظرنا و أدقنا الأعداء مر النكال

وقبرنا استعمارهم و فككنا شعبنا من سلاسل الأغلال "[3]

خاض الشاعر الحرب بلسانه ضد المستعمر ، و دافع عن المجاهدين و ذلك نوه بتضحيات الشهداء وغنى لأعراس الثورة بعد استقلال الجزائر و خروجه من الإقامة الإجبارية فنظم مجموعة من القصائد الطوال في هذا المضمار "[4].

فهو يذكر و ينبه الأمة بأصالتها و عزتها و ذلك لتخليد بطولاتها على مدى الأجيال .

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 418.

[2]- المصدر نفسه : ص424.

[3]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 427.

[4]- محمد بن سمينة : محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته ، ص 104.

3- العروبة والإسلام:

لعبت قضية العروبة والإسلام حضورا بارزا في أشعار "محمد العيد" فهو بمجد الدين الإسلامي وشرف المسلمين " فلم يترك فرصة يرتفع فيها صوت الضاد إلا واهتز لها طربا وتغنى بها شعرا، و انتقلت من دوامة الوجوه ،إلى أفق ملؤه البشر والحبور ، وحطم يساج التشاؤم لينطلق بأجنحة من الأمل الباسل "[1] وهي هذا السياق نشير الى قصيدة (بارك الله للذكرى حساما) التي يذكر الشاعر من خلالها بأمجاد المسلمين ودينهم

"بني الإسلام خلو الخلف إنا إلى الإسلام نعزى دون فرق.

ولو انا على الحق اتّفقنا لكنّا قادة الدنيا بحق

أتسبقنا الشعوب ،إلى المعالي ألسنا قبلهم أحرى بسبق؟

ألسنا بينهم خير البرايا سماحة ملة وزكاء عرق ؟ "[2]

فالشاعر يحاول أن يزرع في النفوس روح التحدي والارادة عن طريق التذكير بتلك الروابط التي تجمع الأمة العربية الإسلامية ،مما يثبت إحساس بالوحدة ،فهو يبارك النوادي والمبادرات التي تسعى إلى فكرة الاتحاد ووعي العقول ، بالدين وتضافر الجهود بغية تحقيق هذا المراد فيقول:

"ويا فتية النادي سلام ورحمة وبشرى فهذا اليوم أعظم مرسم

رفعتم به رأس العروبة عاليا وعدتم على الإسلام فيه بأنعم "[3]

[1]- صالح خرفي : شعر المقاومة الجزائرية ،ص 270 .

[2]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 84.

[3]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص .93

يرجع اهتمام محمد العيد بهذه النوادي التي تعلي من شان العروبة نتيجة إدراكه للتشتت والتفرق والخراب التي تعرضت إليه الأمة العربية من قبل العدو كون الشاعر جزائري لا يتخلى عن مبادئ العروبة والإخوة الإسلامية حتى في مضمون الشعر ، لم يمنعه هو كذلك من التحلي بمبادئ العروبة حتى على مستوى الإبداع الشعري.

فيقول في أبيات شعرية لمصر يسعى الإصلاح وجمع شتات المسلمين والنهوض بالأمة العربية ونجد هذا من خلال قصيدة (تحية مجلة نور الإسلام).

"هذه مصر توسع الشرق نصحا بنداء كأنه نفخ صور

وبنو الشرق منصوتون وعاة مستحيبون في رضا وحبور

مذهب من مذاهب الخير يفشو في حماهم مستأصلا للشرورّ "[1]

في هذه القصيدة يتضح لنا الخطاب الموجه للمجلة وذلك لتذكير بالإخوة الدينية وتوطيد العلاقة من خلال النصح والوعي وذلك الإنصات والاستجابة لها وبعد ينتقل للحديث عن ضرورة العلم واهميته والبعد عن الخصومة:

"يا بني الشرق زاولو العلم الحيا دعونا من نبش ما في القبور

يا بني الشرق حرّكوا العزم فيكم وثبوا في الحياة وثب النمور

واستميتوا في جانب العز تحيوا خالدي الذّكر رغم كر الدّهور "[2]

إن كان شعره مادحا لأصحاب النيات الحسنة لإصلاح حال الأمة ،فلديه طرف آخر مخالف ينتهج أسلوب التقريع لغض النظر عن المبادئ ،الإسلامية ،والسكوت عن الفساد ،وهذا ما نجده موضح في قصيدة (في أذان الشرق):

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 106.

[2]- المصدر نفسه ، ص 107

"ومن الشرق أمة غلب الصمت عليها فعم فيها الفساد.

إنّ في العصر آية لبني الشر ق ولكنهم عن الذكر حادوا

وعنا الناس لا سئمهم وأطاعوا وأشادوا بذكرهم ما أشادوا.

وقعدنا مع الخوالف نخزى بضروب من الأذى ونكاد "[1]

ويذكر الشاعر لهفته للماضي الحافل بالانتصارات ،ويهدف لنزع الارتباك الذي يعانيه الشرق:

أيها المشرقون في ظلأ التاريخ هل عصركم علينا يعاد ؟

كا ما شدتم على الأرض من مج د تليد أضاعه الأحفاد

وتفشى في الخلق فدلّوا لسراهم حتى فنوا أو كادوا "[2]

تشير هذه القصيدة موضوع العروبة والإسلام ،فالشاعر رسم واقع الشرق وما يعانيه من شتات وتفرقة التي تؤدي الى انهزام المسلمين فهو يلوم ويعاتب المسلمين ويذكر بتاريخ البطولة والفداء ،بغية توحيد الصفوف والوقوف في وجه العدو :

"يا بلادا يخزى الكرام عليها ويعزّ الأسافل الأوغاد

يا بلادا ما للزّعامة فيها قوّة أو لزعيميها إتّحاد

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان، ص 118.

[2]- المصدر نفسه : ص 119.

كم يلاقي من العقوبات حرّ ذنبه الوعظ فيك والإرشاد "[1]

وهذا التأنيب فيه نوع من لهجة المحب الذي يخاف عن أحباءه من الضياع والتشتت ولمنعه من هذا المصير يلجأ لكافة السبل لضمان سلامته.

كما يشير الشاعر الحديث من الانقسام الذي حدث في الأمة ويتضح هذا في قصيدة (بلادي):

"وفي تونس الخضراء شمل مبدد وفي المغرب الأقصى أذى متفاقم

وفي المقدس الباكي الحزين فضائع توالت وانكدا طغت و مآثم

فيها شهر هل في الأرض يكشف كربنا ويبعث فيها مجدنا المتقادم؟

وهل يبسط الإسلام في الأرض ظلّه وتنتشر الفصحى وتعلو العمائم ؟ "[2]

فهو يدعو لجمع الشمل وتطهير جراح الأمة العربية لذلك يصر على التحام الجزائر مع مصر ويرسم أحلام و ينتظر بفارغ الصبر وهي استقلال فلسطين وطرد اليهود وهذا ما توضحه قصيدة (تحية الشاعر إلى الرئيس جمال عبد الناصر)

"إن الجزائر أخت مصر تلاقتا في شعبنا المتواصل المتزاور

لا فرت في أقطارنا وديارنا مابين مصرّي بها وجزائري

فمتى نرى شعب العروبة آمنا في الأرض من شعب اليهود الخاسر

[1]–محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 120.

[2]– المصدر نفسه : ص 138.

ونرى فلسطين استعادت عهدها وإلى حماها عاد كل مهاجر "[1].

ويستطرد الشاعر نصحه الأمة العربية مبنيا ضرورة إتباعها نهج المعالي ويذكر بماضيها العريق ، فلا صوت يعلو فوق صوت الإسلام ومبادئه:

"يا أمّة العرب أسلكي سبل العلا ذللا وأبدي عن جنها النّاضر.

قد آن تلدي النوابع مثلما أنبعت منهم في الزمان الباكر

ما كان حبك غير حبّ محمد فخر العروبة والكتاب الطاهر "[2]

و يمجد الشاعر فكرة العروبة و يجعلها الأم الكبرى التي لا يوجد لها نظير فيقول :

"إن العروبة آمّنا الكبرى التي في الأمهّات نظيرها لا يوجد "[3]

نجد عبد الله الركيبي محق عندما اعتبر "محمد العبد أكثر الشعراء الجيل القديم عناية بالشرق واحتفالا به وبأحداثه ،وأيضا دعوته لحث الشباب الجزائري على الاتجاه نحو الشرق العربي واقتفاء خطاه ثقافة وحضارة "[4].

ففي قصيدة (يا شباب) يوجه الشاعر رسالة مفادها أن الشرق جزء من تراثنا وأصالتنا لذلك لا ينبغي على هذا الشباب أن يندمج في المجتمعات الغربية:

"يا شباب اتجه إلى الشرق وأحفظ كل كنز له إليه انتساب

[1]- محمد العيد آل خليفة الديوان ،ص ص 220-224.

[2]- المصدر نفسه : ص 225.

[3]- المصدر نفسه : ص 229.

[4]- عبد الله الركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، دار العربية للكتاب ، ليبيا ،ط3 ، 1977، ص 22.

إنما الشرق نسبة العرب الأح رار تنقطع لها أسباب

إنما الشرق للعروبة كهف آمن الظّل بالأذى لا يصاب.

إنما الشرق للعروبة وكر من بنيها تؤمه أسراب "[1]

وفي قصيدة (تقسيم فلسطين) يدعو للانقسام ويلمح بفكرة القدس للمسلمين فيقول:

"يا قسمة القدس أنت ضيري لم يعدل القاسمون فيك

القدس للعرب من زمان لن يقبلوا فيه من شريك "[2]

في هذه الأبيات يتحدث الشاعر عن العروبة وفخره بها رافضا المساس بالمعالم الإسلامية ،فالقدس أولى وثاني الحرمين الشرفين ووقوعها بيد العدو مصيبة ألمت بالمسلمين ككل،وهذا ينم عن "شعور إسلامي فياض عكس إحساس الشاعر العميق بالانتماء للأمة العربية ،حيث تبدو العروبة والإسلام محور تفكيره وانفعاله بالقضايا والأحداث سواء منها ما تعلق بالجزائر أو سواها "[3].

وفي ضوء هذا القول يتحدث الشاعر عن القدس بهدف بث الحماس في الشعب ودفعه للبطولة والتضحية مذكرا ببأس العرب في ساحات الوغى وفي هجانه لليهود باعتبارهم رمز للجبن والخيانة ،وهذا ما يبينه في قصيدة (فلسطين العزيزة):

"ونّحن بني العروبة قد خلقنا نلبيّ للمعارك كل داعي

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 259.

[2]- المصدر نفسه : ص 314.

[3]- عمر بن قينة : محمد العيد ال خليفة دراسة تحليلية لحياته ، ص 67.

لنا في الحرب غارات كبار وأيام مخلدة المساعّي "[1].

ولا يقتصر الأمر على فلسطين فقط فهو يصف غيرته على ارض الكنانة فيقول:

"أغار على الكنانة شر عاد فقل :يا مصر حيي على الجهاد

أعدّي كل بأسك واستعدي لرد الزاحفين بلا أثناد

تمادوا في مواقفكم تمادوا فإن الفوز عاقبه التمادي

أساء الانجليز اليوم زرعا فموعدكم به يوم الحصاد "[2]

الشاعر يدعو إلي الحرب ضد فظاعة جرائم المستعمر ووحشيته ،وخوفه الشديد من وقوع الأمة العربية في يد الأعادي ،لكن يختلف الأمر مع دولة السودان التي استطاعت أن تخمد نار المستعمر ،رغم هذا تتجلى فرحة الشاعر باستقلال هذا البلد العربي المسلم فيقول:

"ما أسعد السودان باستقلاله فاليوم يرفع رأسه السودان

اليوم يعقد تاجه من انجم أرضيّة تسمو بها التيجان

يا أمّة السودان دولتكم رست طلبتم وطاب لكم بها السلطان

ضمّت لجامعة لنا عربية أعضائها عرب بها خلصان"[3]

ولم يقتصر الأمر على السودان بل تعداه إلى ليبيا التي لم بغفل تعنئتها بمناسبة نيل استقلالها فيقول:

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 335.

[2]- المصدر نفسه : ص ص 344-346.

[3]- المصدر نفسه : ص ص 354-356.

"أمل تحقق بعد طول نظال ومثال فوز كان خير مثال

أرأيت أعظم غبطة من أمّة مهضومة حضيت بالاستقلال "[1].

مما يظهر أن هذه المشاعر الجياشة للشاعر شملت إفريقيا ككل لتزداد بذلك نزعته القومية:

"ويح إفريقيا تفرّق فيها مسلموها فكلهم أضداد "[2].

فهو متأسف على تفوق وهزيمة مسلمي إفريقيا بالرغم من اجتماعهم تحت راية الدين الإسلامي ،نجده في قصيدة (وداع الحجاج) ينصحهم ويعاتبهم ويذكرهم بعزة وأصالة هذه القارة:

ويح إفريقيا نقضت عهود وهي رهن الأسر والتطريق

أين أسلافنا الذين بهم قب ـل غز (طارق) حمى (لذريق) "[3].

ويبين الشاعر في قصيدة (استوح شعرك) القرابة التي تجمع بين إفريقيا والحجاز والبيت الحرام فيقول

إفريقيا دار ثورها حقبة وتوارثوها أروعا عن أروع

إفريقيا أخت الحجاز ديانة ربيبة البيت الحرام الأمنع"[4].

ولعل خير دليل يثبت نزعى الشاعر القومية ويكشف عن مدى اهتمامه بحالة إخوانه في جميع الأنحاء العربية والإسلامية هو ما ينسب إليه من ألقاب كبيرة ، فمحمد العيد شاعر الشباب والجزائر الفتاة في العشرينيات ،وشاعر

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 348.

[2]- المصدر نفسه : ص 119.

[3]-المصدر نفسه : ص 193.

[4]- المصدر نفسه : ص 144.

الشمال الإفريقي والعروبة في الثلاثينات ،وشاعر الحكم والمثل في ذروة النضج الشعري والمعاناة والمقاساة الوطنية في الأربعينات وتلاها "[1].

ومما ورد ذكره تتجلى تلك المبادرة العظيمة التي قام بها الشاعر من أجل ترسيخ أفكار نبيلة وجمع شتات عظيم لحق بالأمة العربية والإسلامية وذلك بتذكيرها براية اللغة والدين والوحدة العريقة التي كان ينضوي تحتها المسلمين عسى أن يؤدي ذلك إلى تكتلهم من جديد فتقوى روابطهم وتعلوا رايتهم

4- الحث على العلم :

العلم وصية تدعو إليها كل الأمم على اختلاف عرقها ومعتقداته ،ولما كان شاعرنا يفقه سنن التطور وأسرار التقدم أعطى للعلم مكانة خاصة في شعره ومن ذلك قوله:

"العلم صرح مجادة وسعادة ومن التعلم شيّد ركن أقوامه

والعلم لما تنحصر أفهامه فتافسوا يا قوم في أفهامه

وخذوا بأسباب العلوم حقيقة وذروا أخا الأوهام في أوهامه "[2].

فهذه الأبيات فيها إشارة واضحة على مكانة العلم الرفيعة وقدرته على إيقاف شهيق الأمة المتعالى كما انه سلاح فيه مهابة تبعد كل طامع يريد نهب ثروات الوطن وخبراته .يقول الشاعر محمد العيد في ذلك :

"والعلم أحصن ما لاذ الرّجال به من فاته العلم ديست أرضه ورمي

[1]- ينظر :صالح خرفي ، محمد العيد آل خليفة ، ص 17.

[2]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص ص 89-90.

هبّوا على العلم أنفاسا مباركة ورفرفوا فيه أعلاما على علم "[1]

وفي قصيدة في (آذان الشرق) يأتي الحديث عن العلم وفق نظرة دينية أشار إليها الشاعر ،فهو يدعو الأمة إلى نيل حظها من علوم الشريعة ،كما يحذر من الكفر والإلحاد

أيها الشعب خد من العلم حظا لم يشبه زيغ ولا إلحادا

واجعل الدّين للبنين دليلا يسهل الطبع منهم والقياد

وإذا اشتد حادث فتحمّل وتجمّل فما يدوم اشتداد "[2].

يوضح الشاعر في قصائده حرصه الشديد على متابعة الواقع والتحاور مع مستجدات العصر و رغبته في هدم الأعداء والتغلب عليهم عن طريق التسلح بالعلم ،فالعلم سلاح ذو حدين وهو بدوره يقود الأمة نحو الرقي والازدهار والمجد والسؤدد.

"أراك بلا جدوى تضّج من الظّلم إلى العلم إذا رهق النجاة إلى العلم "[3].

وتزداد نزعته الإصلاحية وضوحا من خلال قصيدة(تعلم) التي بث فيها دعوة صريحة إلى الإبداع والابتكار

"من لم يضف للعلم علما زائدا في كل يوم فهو في نقصان "[4]

[1] – محمد العيد آل خليفة : الديوان، ص 104.

[2] – المصدر نفسه : ص 121.

[3] – المصدر نفسه : ص 202.

[4] – المصدر نفسه : ص 527.

الشاعر يرفض العيش الوضيع الناتج عن جهل الأمة ،لذلك نراه يرغب في طلب العلم بأسلوب فيه نوع من الدهاء والفطنة ،إذ يوازي في المنزلة بين العالم والمتعلم

"ومن يخلد إلى العلماء يخلد ويؤجر مثل أجرهم سواء "[1].

أما في قصيدة (هذه قمة الفتوة) نجده يحث على العلم وتعلم اللغة العربية حتى تتضح للمتعلم معاني الدين ، كما ينصح بانتهاز فرصة الشباب

"وعلى الصدق فابن واعمل بعلم لا يجهل يجّر للخسران

وتعلم قواعد النحو والصرّ ف ورضها بمنطق وبيان

إنّها كلها وسائل فهم لمعني الحديث والقرآن

لا تضع فرصة الشاب وبادر بانتهاز الشباب في العنفوان.

فهو من خمسك التي هي أولى باغتنام من قبل خمس دوائي "[2]

وفي قصيدة (رعد البشائر) يدعوا إلى احترام العلم وحسن الظن بهم على اعتبار أنهم السراج الذي ينير درب الامة

"وحسن بأهل ظنك أنهم عطاش لكي تروى جياع لتشيعا"[3]

إذ يبين الشاعر مدى قدرة العلم في الدفاع عن الوطن والدين ، ومن هنا جاءت دعوته التي تشييد المدارس والجامعات بهدف رفع الأمة ، التخلف والجهل والنهوض بها نهضة علمية لا تترك اثر للجهل و الأمية حيث "بدل الشاعر عناية

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان، ص 532 .

[2]- المصدر نفسه : ص 266

[3]- المصدر نقسه : ص 188.

خاصة بالصحافة والمدارس والمساجد والجمعيات والنوادي وأكثر من الحديث على تأسيسها حرة مستقلة عن الاستعمار وإتباعه لكي تخدم الأهداف الوطنية ،ولذلك لا نستغرب أن ينادي الشاعر ببقاء المساجد التي لا تعزى لأحد غير الشعب وحثه على إنشاء المدارس وتعليم الأطفال فهده المدارس هي مصانع العقول وهي التي تخرج نشأ يؤمن بوطنه وقوميته"[1].

ونعزز هذه الفكرة بما ورد في قصيدة (استوح شعرك):

"العلم سلطان الوجود فسد به من شئت أو ذد عن حياتك وادفع.

وألجأ له بدل الحصون فلا أرى حصنا كمدرسة أو مصنع.

قل للجزائر أنشئ كليّة تمحو جهالة شعبك المتسكّع.

الجهل غيم فوق أرضك ضارب غط على أحيائها والأريع.

لن يخرق ابنك حجبه ما لم يكن بمنقب في الكتب أو مستطلع "[2].

وفي قصيدة (تحية ووصية) للشاعر يوجه الأمة نحو الرفع من قيمة المدارس التي من شأنها الحفاظ على فصاحة اللغة وهداية كل من أخطأ السبيل.

"بني وطني أعلوا المدارس تعلكم بتعليم جهال وإرشّاد ضلاّل

وصونوا بها الفصحى التي بكتابكم أشادت ببرهان وساغت كسلسال"[3].

[1]- أبو القاسم سعد الله : محمد العيد رائد الشعر الجزائري الحديث ، ص 146.

[2]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 145.

[3]- المصدر نفسه : ص 127.

وفي قصيدة أخرى يحث الشاعر في دعوته الإصلاحية ،إلى الحديث عن وجوب العناية بإبطال الأمة ،والنظر إليهم على أساس أنهم رجال الغد وهذا ما يتوجب تنشئتهم على الفضيلة .

"ولا تغفلوا شان الصغار فإنهم لمستقبل الأيام خير رجال

وأشبه شيء بالمرايا عقولهم فصوغوا لها منكم اجل مثال

أبينو لهم طيب الفعال ليقتدوا بكم فحياة الطفل طيب الفعال

وهبّوا إلى الإصلاح فالله كافل لمن هبّ الإصلاح حسن منال "[1].

فشاعرنا لا ينتسب لأولئك الذين اتهموا بضيق النظر،وجمود الفكر على اعتبار أنهم وقفوا ضد فكرة تعليم البنت ، ولعل ما ورد في قصيدة (يخلد الإسلام) أصدق تعبير فيقول:

"علموا الطفل ما به يتزكّى قبل أن يستبين منه احتلام.

علموا البنت ما به تحصن النفـ س لينكفّ عن أذاها اللئام

علموها كيف الرّعاية للطفـ ل وكيف التلقين والإلهام "[2]

فالشاعر ينصح بتعليم البنت حتى تدافع عن نفسها شر اللئام ،مما يمكنها من التربية على الأخلاق الحسنة والمكارم ، فهو يظن أن ذلك إلا من خلال الاحتجاب والاحتشام .

"عصمة المرأة احتجاب وصون وإباء وعفة واحتشام

علمّوا أمة الجزائر فالعلـــ م دليل لخيرها وزمام

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 13.

[2]- المصدر نفسه : ص 179.

علموها دينا من الله سمحا ليس فيه إصر ولا إرغام "[1]

والشاعر يعتبر أيضا بأن المرأة مدرسة أولى التي تتخرج منها الناشئة :

آتو النساء نصيبهن من الهدى يخرجن نشئا كالرماح الشرّع

وابنوا المدارس نضرة مزدانة تحكي المغارس في الربيع المونع

وابنوا المساجد حرة ليس إلى متحكم تعزى ولا مبتدع "[2].

التزام الشاعر وتدينه جعله لا ينظر للمرأة من جهة ذاتية كالغزل ونحوه ولم يتحدث عنها من جهة فلسفية كجمالها الإنساني ووظيفتها الطبيعية ، بل اكتفى بالحديث عنها من وجهة نظر اجتماعية محضة فالبيئة التي تقلب فيها الشاعر تفرض عليه أن ينظر إلى المرأة على أنها كنز ثمين يجب المحافظة عليه بالدفاع والستر ، كما نادى بالحجاب للمرأة كي يقيها من نظر الشرور والخطايا لان عصمة المرأة في العفة والاحتشام "[3].

فالشاعر على يقين أن فلاح الأمة مرتبط بتربية الناشئة على تعاليم الشرّع لذلك نجده يدعو إلى الاتفاق في سبيل التحصيل.

"ولست أرى القرآن إلا مناجما أتدرون ما تحوي عليه المناجم

فربّوا عليه الناشئين تلح لهم به طرق مشروعة ومعالم.

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان، ص 179.

[2]- المصدر نفسه : ص 149.

[3]- أبو القاسم سعد الله ،محمد العيد رائد الشعر الجزائري الحديث ، ص ص 110-111.

وفي سبيل التعليم أعطوا دراهما ففي سبل التعليم تعطى الدراهم "[1]

الشاعر يشبه رجل حكيم ،يوظف تجاربه في الحياة لخدمة الأمة لاجتياز المحن.

5- محاربة الآفات الاجتماعية :

لقد اتسعت دائرة الآفات الاجتماعية في العصر الحديث ، وصارت شريعة الغاب في دستور المجتمع ،لما تفشى من مظالم وتفاوت طبقي ،وهضم لحقوق الضعاف ، أضف إلى ذلك الرشوة ،والنفاق والفقر ، وهذا نتيجة بعد الناس عن تعاليم الشرع وعبثهم بالدين ناهيك عن القهر السياسي الناجم عن ظلم المستعمر ، ولما كان الوضع يسير على هذا النحو وجدنا شاعرنا يرثي الأمة ويشكو فساد حالها ، محاولا إيجاد الحلول ونوضح في قصيدة (منظر تاعس ناعس) التي صورت نفسه الشجية والحزينة وكشفت عن مدى قبح آفة الفقر المشينة وما يعانيه الفقير من طيق وشيه وعسر حال.

"بدا لعيني تاعس ناعس على الثرى في الصّبح بالي الثياب

جاث على الرجلين جاني الحشى والطهر هاوي الجسم ذاوي الشباب

فهاج من حرقي ومن لوعتي كما يهيج النار عود الثقاب "[2]

حيث قال محمد العيد " هذه القصيدة وضعتها متأثر المشاهدة فقير بائس ، لا يزال في مقتبل العمر يؤوي في أكثر الليالي حينما يجن عليه الليل إلى جبل الباب الجديد (الذي عليه نافدة غرفتي ،وفي العراء وتحت أديم السماء يقضي

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 137.

[2]- المصدر نفسه : ص 28.

الليل كله "[1].

ولعّل ثاني سبب حرك عواطف الشاعر هو تنكر الأغنياء لدينهم وانغماسهم في ملذاتهم دون أن يلاحظا تعاسة الفقير الذي يعيش على هامش الحياة التي لا يقوى إنسان على تحملها.

"هل أنت بشر مثلنا أم أنت جنّ زال عنك الحجاب

لا بل فقير لم تجد رحمة عند ذوي الفيلات ذات القباب "[2]

يظهر الشاعر من خلال قصيدته صاحب حسن رهف ،يتألم مع الذين يلاقون الأهوال والمشقات ويرشد الأغنياء الذين لم يبق في ضميرهم ما يردعهم عن كبح شهواتهم ويدفعهم إلى عمل الخيرات.

"وأكرموا في الله سبحانه عباده يكرمكم بالثواب

ومن يكن الله اتفاقه ينل به الزلفى وحسن المئاب "[3]

يلح الشاعر إلى الدعوة إلى بدل العون ،وتقديم يد المساعدة للفقير وإغاثته ،ففي قصيدة (بشرى للجزائر)

"أين الذين يجاهدون بمالهم في نفع أمتهم ودفع أناتها "[4].

[1]- صالح خرفي : شعر المقاومة الجزائرية ، ص 250.

[2]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 29.

[3]- المصدر نفسه : ص 30.

[4]- المصدر نفسه : ص 211.

كما عرف المجتمع الجزائري في العصر الحديث سنوات من القحط والجفاف تفشى فيها الفقر والحرمان ، وتعرض الناس إلى التشرد والضياع ،فهذا ما تناوله الشاعر في قصيدته (أيها الرافعون القصور) التي صور من خلالها هموم الفقراء ومظاهر حياتهم البائسة.

"فما الجوع واشتد عسر المعايش وعادت سنو يوسف الغابرة.

تفاقم كرب الفقير الكسير أما عندكم من يد جابرة

فيا أيها الرّافعون القصور إلى الجو في الأمة القاصرة

ألا تذكرون حفاة عراة أصابهم الفقر بالفاقره "[1]

الملاحظ أن الشاعر لا يكتفي برسم الواقع فقط ، بل يحاول ممارسة دعوته الإصلاحية ورسالته الاجتماعية على أكمل وجه وهو يناشد الأغنياء مرة أخرى ويدعوهم إلى إنقاد المعوزين من المأزق الذي وقعوا فيه ، ولعل سبب إلحاحه في الدعوة إلى توسيع مشاعر الرحمة وإغاثة المنكوبين هو علمه التام بان الفقر ينتج عنه الجهل والأمية والانحلال الأخلاقي لذلك وجب التصدي له .

"يا قوم شعبكم أحاط به الأذى وسطا عليه الجهل والإملاق.

والوهم عشش في الرؤوس فاطر والوهم شرّ بلائه الإطراق "[2]

[1]- محمد العيد آل خليفة : لديوان ، ص ص 251-252.

[2]- المصدر نفسه :ص 95.

والواضح أن آفة الفقر قد سببت للشاعر القلق خصوصا عندما هتكت الأعراض وبيع الشرف مقابل لقمة العيش ، لا سيما عن تنازل الأخوان وإخلادهم إلى الراحة ،وتزداد هذه الفكرة ،وضوحا من خلال قصيدة (هيهات يخزى المسلمون):

"وتنازع الأخوان هذا بالأذى يسطو وذاك يريد منه الثارا

والفقر فاش فالنساء سوافر يكدحن في طلب المعاش حيارى

يبذلن حتى العرض في تحصيله ليتفن أبناء لهن صغارا "[1]

وبعد أن تكلم الشاعر عن الواقع المزري الذي آلت إليه الأمة ،يتوجه إلى تقديم النصائح حفاظا على كرامة المجتمع وتماسكه:

"يا للرجال لحرمة مهتوكة أفا شاعرون أم الرجال سكارى؟

أجدادكم خطو لكم خطط العلا ما بالكم لم تقتفوا الآثار ؟ "[2]

ثم ينتقل الشاعر إلى ذم صفة البخل والسخرية من البخلاء الذين جحدوا فضل الله عليهم وانصرفوا عن عمل الخيرات.

" لا يعرفون من اقتصاد المال ما ينميه إلا البخل والإقتار

أشقي عباد الله من جحد الفنى وأذلّهم من قدّس الدّينار "[3]

[1]- محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 113.

[2]- المصدر نفسه : ص 113.

[3]- المصدر نفسه:ص 114.

ولا يزال الشاعر يخاطب الأنبياء عن فعل المعروف ، ويدعوهم إلى إنصاف إخوانهم الفقراء و منحهم حقهم في الزكاة حتى تزول تلك الأحقاد والضغائن :

"الزّكاة يدعوك فاسمع صوت إنذاره وردّ الجواب "[1]

كما يدعو الشاعر المسؤولين إلى الاهتمام بأمور الرعية والإحسان إليهم فيقول :

"عودوا على الشّعب بالحسنى فإنكم على كواهله ترقون في الدّرج"[2]

وهكذا يتضح لنا وقوف الشاعر مع أمته ونضاله المتواصل لإنقاذ الأمة من آفة الفقر حتى لا تزال الفضائل وتتفشى الرذائل ، ولكن بالرغم من هذه الجهود التي تسعى إلى الحفاظ على حسن الخلق والحماية للمجتمع من الضياع نجد الشاعر في قصيدة (استوح شعرك) ، يكفكف دموعه على ما أصاب الأخلاق من تردّي:

"أسفي على الأخلاق صوحّ زهرها فينا وغوّر مالها من منبع.

أين الأمة والوفاء ومن يلي غرس الأمانة والوفاء ويرتعي.

هل في الأمانة والوفاء مجدد ذكرى السّموءل وابنه و الأذرع

لولا التخرج قلت غير مبالغ لم يبق إلا الأوكع ابن الأوكع

متى تستغنه يعين عليك شماته أو تأتمنه يمن عليك ويخدع

قف بالجزائر وألح فيها أمة يلهوا الشّباع بها بجنب الجوّع"[3]

[1]- محمد العيد آل خليفة :الديوان ، ص 275.

[2]- المصدر نفسه : ص 382.

[3]- المصدر نفسه :ص ص 147-148.

الشاعر في هذه القصيدة يشكو من ضياع مكارم الأخلاق والأمانة والابتعاد عن صالح الأعمال.

ورد أيضا في قصيدة يخلد الإسلام التي يصور ازدياد سوء الأمور وموت الضمير:

"وفشا الزّور والقمار على الأر ض وراج الخنا بها والمدام

واستطار الفساد واستفحل الشـ ـر وعم الأذى وطم الخصام

حل فيها من الخطيئات ران وعلاها من المعاصي غمام

ويشيع المغتاب فيها الأقاويل ل فيعني بنقلها النمّام "[1]

وقف الشاعر على صور الجزائر وشاهد الطفل يلهو ويمرح في الأزقة ،والفتى يرضى شهواته ، ويتحدث عن تعب وشقاء الأيتام والابتعاد عن الدين نتيجة الجهل والفقر.

"قف معي بالجزائر اليوم و اسبر غورا أحوالها بعين وأذن

تجد الطفل في الأزقة يلهو والفتى يشرب الخمور ويزني

تجد الطفلة اليتيمة تشقى تحت خدر تنوء أو تحت خدن

ولو أن الرّجال منا رجال لم يفتها تزوّج وتبنى

أو لدى البيض نصورها وقالوا أكرمتها يد المسيح بحضن "[2]

[1]- محمد العيد آل خليفة: الديوان ، ص 177.

[2]- المصدر نفسه : ص 110.

تم يصف الشاعر في قصيدته (يا بحر) ظاهرة الفسوق والعري على الشواطئ ، فهو يأخذ عن مقوتاته و استخفافه بالدين فيقول:

"على شواطئ سيل من الفضائح أزرى

تلقى الفتاة فتاها كلاهما فيك معرّى

يكاشفانك فشحا ويسمعانك هجرا "[1]

فلا شك أن مكان الزنا تحول إلى مرض الأزمة من عالم الفضائل النبيلة إلى عالم الضعف والانحلال ،ولهذا يواصل الشاعر نضاله ويبدل كل جهوده للقضاء على هذه الرذيلة التي يترتب عليها ضيق الرزق وغيره فيقول:

"و ما بال سير فتاة العصر منحرفا يهوي بها في مهاوي الإفك والزور

ما بالها هجرت آداب ملتها ما بالها أعرضت عن خير دستور

في كل مرحلة تزداد ظلمتها في الرأي فاقرأ عليها سورة النور "[2]

فالشاعر يتأسف على حال الشباب لانحرافه وابتعاده عن الخصال الحميدة وإقدامه على قذف الشرائع بدون بنية ومرد هذا إلى عدم تدخل العقلاء في الوقت المناسب فلم يعد هناك من يرشد إلى بر الأمان.

"جار الشباب على القيم ورمى الشّرائع بالتهم

وآبى النصيحة تابعا لهواه يخبط في الظلم "[3]

[1]-محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 64.

[2]- المصدر نفسه : ص 279.

[3]- المصدر نفسه ص 518.

كما شاعت في العصر الحديث ظاهرة الانتحار وذلك بسبب جبن المقدمين عليها وخوفهم من مواجهة مشاكل الحياة ومصائبها ويعود ذلك في الحقيقة إلى نقص الوازع الديني والفتوى من رحمة الله ومن هنا فالشاعر أعلن سخطه على الدين يسارعون في الذهاب إلى لقاء حتفهم فيقول في "قصيدة دمعة منهمرة على فتاة منتحرة ":

"إن انتحار اليائسين جناية عظمى يبوء بخزيها الجبناء

دنياك معركة يفوز بكسبها رأي أسّد وهمّه قعساء

ما فازا لا مؤمن متوكل متجمّل مهما عراه بلاء

فله بأسباب الإله تمسّك وله بأحكام الإله رضاء "[1]

وبعد ذلك يحاول الشاعر أن يتصدى لأهل الفسوق ،ومن خلال تصويره لظاهرة الكوارث الطبيعية ليجعلها عبره فيقول في قصيدة (زلزلة الأصنام):

"عجبا لها من رجّة أرضيّة ما شاهد الجيل الحديث مثالها

ولعل فيها عبرة لذوي النهّى وهدى يقي النفس اللجوج ضلالها

فالنفس لم تترك غرائز خبثها والأذميّة لم تدع صلصالها "[2]

ويظهر من خلال هذه الأبيات فيها نوع من عقاب الله وغضبه ، بسبب التخلي عن مكارم الأخلاق وأعراض الناس عن الشرعية الإسلامية ،لذلك نجد الشاعر يدعو للفطنة والاقتداء بالمحاسن والابتعاد عن المساوئ.

"أفيقوا فهذا الدين بين ربوعكم تنازله الأحداث شرّ نزال

[1]-محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص ص 474-484.

[2]- المصدر نفسه : ص70.

تحاول نكباء الضلالة نسفه وترميه أشلاء الرّدي بنبال

فقوموا مقامات الدفاع حياله ليؤمن هذا الدين كلّ ضلال "[1]

فالشاعر فيصدى للرذائل ويحاربها والوقوف عند أضرارها وعواقبها سواء كانت من الكبائر ولعل ما ورد في قصيدة (آفة العين) خير دليل:

"يا أخا العين لا تغترر بالصور

أنها ليلى أجلت والحفر

فاردع للملا ح بغض البصر "[2]

وفي قصيدة (بين الشك والتشكي) نجد الشاعر يدعوا ابن آدم إلى اجتناب الفساد والتخريب في أرض الله:

لا تغث ويحك يا بن آدم مفسدا إن الحياة محارم وحدود

تدري إلى ما أنت فيها كادح ؟ أم أنت فيها الإله كنود ؟ "[3]

فبعد أن شخص الشاعر الرذائل ودعا إلى الفضائل ،سعى للتكلم عن كتاب الله المعجز الذي فيه شفاء لما في الصدور فيقول :

"كتاب الله كنز ليس يفنى وشمس لا يغيب لها ضياء

[1]- محمد العيد آل خليفة: الديوان ، ص 13.

[2]- المصدر نفسه : ص 38.

[3]- المصدر نفسه : ص21.

هدى للمتقين فكن تقيّا وسله من الهداية ما تشاء[1]

فكتب الله عز وجل هو بمثابة الحبل المتين الذي يجب أن يتمسك به المسلم حتى لا ينهار ويعيش قرير العين ناعم ومرتاح البال فيقول:

"أن السعادة نعمة الـ إسلام وهو أبو النعم

أقبل عليه فغنه دين به سعد الأمم "[2]

يتضح مما سبق أن الشاعر يهدف إلى تهذيب النفوس وترتيبها على الفضيلة وذلك لضمان سلامة وسعادة الأمة واستمرارها ويبعدها عن الهزيمة والانحطاط.

رابعا – خصائص شعره الإصلاحي:

فالحديث عن خصائص شعر محمد العبد في ضوء نزعته الإسلامية فانه يقدم دلالة قوية على انسياقه وراء النص القرآني "فليس غريبا على شاعر مثل محمد العيد ، وهو ما يعرف عليه من روع وتقوى ،وتمسك بالقرآن الكريم قراءة و تطبيقا أن يرى لغة القرآن النموذج الذي يجب أن يحتذى به ، روعة بيان وسلامة منطق ، ويتأثر به عن وعي أو عن وعي في لغته الشعرية ويتجلى في صياغته تصويرا وتعبيرا "[3].

"نتواصى بالحق والصبر فيه والتواصي تضامنا وجهاد" [4]

[1]– محمد العيد آل خليفة: الديوان ، ص 538.

[2]– المصدر نفسه : ص 518 .

[3].– محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث : ص 297.

[4].–محمد العيدآل خليفة : الديوان ، ص 118.

في هذا البيت اقتباس من الآية الكريمة ﴿وَ تَوَاصَوْاْ بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ ﴾ "[1].

كما يتحدث محمد العبد في شعره الإصلاحي على سنن الأقدمين سواء من الشعر الجاهلي أو من مصادر الثقافة العربية الإسلامية يقول:

"وأدرنا رحى الوغى فانتصرنا وأذاقنا الأعداء مر النّكال "[2].

كما تأثر الشاعر بمدرسة زعماء الإصلاح ومن ابرز شعرائها محمود سامي البارودي ويظهر هذا من خلال قوله :

"آتوا النساء نصيبهن من الهدى يخرجن نشأ كالرياح الشّرع "[3]

فالشاعر في هذا البيت يشير إلى ما قاله حافظ ابراهيم ،وهو يحث على تعليم النساء باعتبار المدرسة تقود المجتمع محو الرقي:

"الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا بالري أورق أيّما إيراق

الأم أستاذ الأساتذة الأولى شغلت مآثرهم مدى الآفاق"[4]

[1].-سورة العصر: آية 3.

[2].-محمدالعيدآلخليفة : الديوان ، ص 427 .

[3]- المصدر نفسه : ص 149.

[4]- محمد الصديق المنشاوي : علّموا أولادكم أخلاق الرسول (ص) ، دار الفضيلة ، الشراقة ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 37.

يتعامل الشاعر في اغلب الأحيان مع اللغة تعامل وظيفي يقتصر على استغلال جانبها المعجمي واضح الدلالة ،فلم يلفت الى الجانب المعنى بالصورة والخيال "فالشعر عند محمد رسالة مقدسة وأمانة يجب حملها في سبيل النهوض بالمجتمع "[1] ، فهو يعتمد على اللغة التقريرية المباشرة حتى يستوعب المجتمع رسالة بقوله:

"أيها الشعب أنت موضع شعري وشعوري لا زينب والرباب "[2]

فالشاعر يرتكز في صياغة قصائده على الأدوات المستعملة في الخطب عادة ،فهو يكثر من الأساليب الإنشائية التي غرضها النصح والإرشاد يقول:

"اخلص لربك تحط بالآمال ما أحسن الإخلاص في الأعمال "[3]

كما يعمد الشاعر إلى أسلوب الذم والتقريع ، فهو يظهر الأسى على ما أصاب المسلمين من تعب ووهن فيقول:

"وفقدنا مع الخوالف نخزى بضروب من الأذى ونكاد "[4]

و ينقل الشاعر محمد العيد تجاربه وخبرته في الحياة لأمته ،بهذه أخد العبرة فنجده يزود قصائده ببعض حكم فيقول:

"كم غني بالفقر فوجئ يوما ومحافي إذا به قيل ماتا "[5]

[1]–محمد ناصر بوحجام : أثر القرآن في الشعر الجزائري ، ص 35.

[2]–محمد العيد آل خليفة : الديوان ، ص 261.

[3]– المصدر نفسه : ص 404.

[4]– المصدر نفسه : ص 418.

[5]– المصدر نفسه : ص 274.

ومن بين الخصائص البارزة في شعره الإصلاحي اعتماده على وحدة البيت ،حيث جاءت أبيات قصائده مفككة ، يمكن التقديم والتأخير فيها دون أن يختل المعنى ، كما أنه يعالج في القصيدة الواحدة عدة موضوعات "ولاشك أن شعرائنا تأثروا بهذا المفهوم القديم لوحدة القصيدة وبناءها علم يحصروا قولهم في موضوع بعينه وإنما يتخذون من هذا الموضوع منطلقا لأغراض كثيرة تقترب منه أو تبتعد قد لا يكون لها صلة به تماما " [1]. فاهتمام محمد العيد منصب على الأفكار والمعاني والقواعد العروضية والنحوية ، لكنه لا يكترث لأمر الوحدة العصوية في القصيدة.

المبحث الثاني – تجليات النزعة الإصلاحية في شعر محمد السعيد الزاهري و الطيب العقبي :

أولا – التعريف بالشاعر محمد السعيد الزاهري ونزعته الإصلاحية :

1–التعريف محمد السعيد الزاهري :

هو محمد السعيد الزاهري بن البشير بن علي ناجي ولد عام 1899 م في منطقة ليانة بالزاب الشرقي بولاية بسكرة ، فيها حفظ القران "واستكمل دراسته الابتدائية على يد مشايخ الأسرة الزاهرية "[2] وعلى رأسهم جده لأبيه الشيخ علي بن ناجي وعمه الرحيم بن ناجي..... و غيرهم ، ثم قصد من بعد ذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس لينهل العلم على يديه فأقام في مدرسته أربعة عشر شهرا "[3] ، يصفها بقوله "أقمت عنده بمدرسته زهاء أربعة عشر شهر رأيت فيه من العلم العريض ، و الاطلاع المحيط ، واللسان العربي المبين ،فما شعرت إلا وقد دخلت في دور من القراءة جديد ، لا عهد لي به من قبل "[4].

[1]– عبد الله الركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، ص 146.

[2]– صالح خرفي : سلسلة في الأدب الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ،1966 ، ص 23.

[3]– ينظر : عادل النويهض ، معجم أعلام الجزائر ، مؤسسة النويهض الثقافية ، بيروت ، ط2 ، 1980 ،ص 28.

[4]– صالح خرف ي: شعراء من الجزائر ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، د ط ، 1969،ص 73.

ثم من بعد ذلك" انتقل إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة ونال منها شهادة التطويع "العالمية"[1]، وقد عاد من تونس إلى أرض الوطن سنة 1925 م حيث استقر بالعاصمة و انضم إلى جماعة الإصلاح فأخذ مكانة بين أعضائها، و بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أصبح أبرز أعضائها المؤسسين وقد ترأس تحرير أكثر من جريدة أصدرتها الجمعية ،ولعل أهمها الصراط السوي ، السنة النبوية ، و الشريعة المحمدية ، وقد أنشأة عدة جرائد أهمها جريدة الجزائر 1925م ،البرق 1927م.....

نشر الزاهري عدة مقالات في عدة صحف جزائرية كالإقدام ،الشهاب ، البصائر ، الإصلاح ، وله من النتاج الأدبي كتاب " الإسلام في حاجة إلى دعاية و تبشير " وهو أهم مؤلف مطبوع وله من المؤلفات الغير مطبوعة "شؤون وشجون "، "بين النخيل و الرمال " و "حاضرة تلمسان " ، له عدة قصائد شعرية أهمها ، "الجزائر تحيي الجزائر " ، "التحية الصادقة " و " ليتني ما قرأت حرفا "..... وغيرها .

كان الشيخ الزاهري صحفيا ، شاعر ، كاتب من رجال الحركة الإصلاحية استمر في دعوته الإصلاحية حتى توفي عام 1956 م.

2- نزعة الزاهري الإصلاحية :

يعد محمد السعيد الزاهري من أبرز رجال الإصلاح فقد احتل مكانة بارزة في مسيرة الحركة الإصلاحية كما شكل نقطة تحول وثراء فيها ، حيث جاءت خطاباته الشعرية في مجملها تأكيدا للهوية الوطنية و الإسلامية و دافعا للنهوض بالمجتمع .

[1]- مجموعة مؤلفين : المنجد في الأعلام ، دار الشرق ،بيروت ، ط 23. 2001 ، ص 282.

حيث استهل الشيخ الزاهري حياته الإصلاحية بالعمل الصحفي و"ذلك بإصدار جريدة الجزائر سنة 1925 م و كانت قد اتخذت شعارها الجزائر للجزائريين ".[1]

فاتخذت من الصحافة وسيلة تمكنه من توصيل صوته وأفكاره الإصلاحية لتوعية أفراد المجتمع الجزائري ، وقد جاءت دعوته للإصلاح تمس جوانب عديدة من الدين والحياة ، فالزاهري عرف مقاوما بقلمه على أغلب صفحات جرائد الوطن حيث يقول:

"قضيت حياتي مدلجا ومؤوِّبا ولكن كأنّي رمت عنقاء مغربا

تود الليالي لو كنتي عن المنى وعزمي يأبى حتى أدرك مطلبا

ومن يبتغي الأمر الجليل فإنّه يكابد فيه متعبا ثم متعبا " [2]

ولقد فهم الزاهري شمولية الدعوة إلى الإصلاح حيث تعرفت الحركة على صدق مشاعر هذا الشاعر من خلال قصائده التي كتبها في الإصلاح لحل القضية الجزائرية حيث يقول:

"ألا في سبيل المجد حلّي وترحالي ومسعاي في العلياء ، والشرف العالي

"فإني نلت ما أبغى فذاك ،وإن أمت فكم مات من دون المنى قبل أمثالي "[3]

لقد عد الزاهري انعطافة خطيرة في تاريخ الحركة الإصلاحية وذلك لأنّه من أكثر النشطاء دفعا للحركة الإصلاحية حيث كان موظفا لغاية أساسية هي خدمة غاياته الإصلاحية فقد كان يؤمن بأولوية الإصلاح وتهيئة العقول قبل رفع

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،ط 1،1998 ، ج5 ،ص 258.

[2]- المرجع نفسه : ص 154.

[3]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ،قسنطينة ،الجزائر ،ط2 ، 2007 ، ج1 ،ص 147.

الشعارات فإذا رحنا نقرأ بعضا من شعره نجده مليئا بحب الوطن ومحاربة المستعمر الذي يسعى لسلخ هذا البلد عن عروبته وإسلامه يقول في قصيدته "أنين الجزائر " :

"يا للجزائر من هاضها وسطا حكما عليها ، وكانت أمة وسطا

لملكها كانت الأيام صاغرة أكان أقسط ذلك الملك أم قسطا

كنا إذا منيت بالرّوع ممكلة نمدّها ، فيبيت الروع منكشطا

لم تكن تتعلق بعظيم قط همتنا إلّا أثنينا ،ولسنا نعرف القنطا "[1]

ويرى الزاهري بأن إصلاح العقائد الفاسدة هي المهمة الأساس التي على العلماء الجزائريين الانشغال بها ، فالزاهري قد جند قلمه لخدمة الإسلام ونشر فكرة الإصلاح ولم يتردد أبدا في التصدي لمختلف مشايخ الطرق حيث "كان جريئا في التصدي للباطل و الظلم و الطغيان وقول الحق فهو في كتاباته لم يخشى لومة لائم ولا عقاب ظالم ولا كيد مبطل "[2] ، فقد كان هدفه الوحيد هو تخليص أبناء أمته من الاستعمار.

[1]- العربي الزبيري : المثقفون الجزائريون والثورة ،المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ، الجزائر ،دط ، 1955 ،ج1، ص ص 59-60.

[2]- فوزي مصمودي : أعلام من بسكرة ، الجزائر الخلدونية ، بسكرة ،دط،2001 ، ج1 ، ص 71.

ثانيا – موضوعات و خصائص شعر الزاهري الإصلاحي :

1–موضوعات شعره الإصلاحي :

1–1–محاربة البدع والخرافات :

اتفق المصلحين في الجزائر في بادئ الأمر على وسيلة هي محاربة البدع والخرافات ،وإسماع صوت الحق حيث استخدموا في ذلك صحافة وجمعيات ونوادي.....، ومن بين هؤلاء المصلحين نجد الشيخ محمد السعيد الزاهري الذي اتخذ من الصحافة منبرا لمحاربة البدع و الخرافات فهو من أكثر الشعراء المصلحين صلابة في مقارعة أولئك الدجالين ودحض أباطيلهم وظلالاتهم وخرافاتهم ، فنجده كثيرا ما يهاجم الانحراف الديني الذي أبعد الناس عن الدين الصحيح و أغرقهم في غياهب الجهل والظلام على رجال احترفوا الدجل ولعبوا بعقول الناس مستغلين انجذابهم إلى الدين ورغبتهم بالتقرب إلى الله حتى حرفوهم عن دينهم الحق حيث يقول:

"سل اليراع على الذين تصيّدوا هذي العباد صالح الدعوات

نصبوا الديانة شركة للكسب فاصـ طادوا بها من كان ذا غفلات

وكسى خدائعهم بثوب كرامة ما مر من حقب من سنوات

حتى لقد صار التصوف عادة والناس أسرى في يد العادات

أودى التصوف بالعقول فلا ترى في القوم عقلا وهو غير موات"[1]

[1]– صالح خرفي : سلسلة في الأدب الجزائري الحديث ، ص 31.

فالسبب الذي أودى الزاهري إلى الخوض في هذه المعركة هي الاستعمار إذ يعتبره المعول الأساسي الذي استندت عليه الطرقية وأصحابها وهي السبب المباشر فيما يعاني منه شعب الجزائر من مآسي وآلام ،" فالطرقية قد جمدت العقل الجزائري وأبعدته عن الصراط القويم بعدما سيطرت عليه عن طريق البدع والخرافات والاعتقاد في الأولياء والتبرك بهم"[1] حيث يقول في قصيدته تحت عنوان "الشعر الفحل" :

"وزعانف زعموا بأنّ لهم الضراغمة الأسود

فرأيت فيهم ذا الجها لة سيّدا ، وهم العبيد "[2]

حيث يرى الزاهري بأن الجهل والضلالة والاحتيال على الناس باسم الدين من السمات البارزة في حركات وسكنات شيوخ الطرقية ، حيث اعتبر الطرقية ظاهرة سلبية ألقت بظلالها على المجتمع الجزائري فيقول في قصيدته :

"كانوا طوائف شتى كل طائفة تطيع شيخا لها في كل ما زعموا

وإن قال إني (ولي) صدقوه وإن هو ادعى الغيب فهو أحكم الحكما

أو احتسى الخمر قالوا أنّها عسل ولا غرابة في هذا ولا جرما"[3]

فالشاعر في هذه القصيدة سيتطرد تقديحه لأصحاب الدجل مبيا اغراق مرديهم بكل ما زعموا ،كما يواصل الزاهري إنشاده مبررا شدة تأثير الدجل على عقول الناس فيقول:

"إن هو ارتكب الفحشاء فاضحة فلا محالة ، مغذور وقد أثما

[1]– محمود أبو عبد الرحمن : آثار الشيخ مبارك الميلي ،دار الرشيد الجزائر ، دط ، 2012 ،ص 55.

[2]– محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ،ص 161.

[3]- مجموعة من المؤلفين : توظيف في الشعر الجزائري الحديث ، ص 65.

وإذا بكى حسبوا الأيام باكية ويضحك الدين والدنيا إذا ابتسما "[1].

فالزاهري قد ناد إلى الاجتهاد في محاربة الطرقية والحد من فعاليتها نظرا للآثار السلبية التي نتجت عنها ،حيث عملت على نشر المفاهيم الدينية الخاطئة في أوساط الناس كمسألة الخلوة والغوث والزيارة وأن مسألة العودة إلى القرآن والسنة شقاوة وخسارة ،كما نجده في قصيدة يبين لنا إلي أي حد وصل إليه انتشار الفكر الغيبي ، حيث نجد بأن السحر والشعوذة أصبحت تغزو جميع البيئات فمثلا إذا جفت الأمطار أو اتجهت النية إلى حفر بعض الآبار فلا بد أن تذبح لذلك الذبائح يقول الزاهري في هذا:

"لا تنفع العين في الزيبان جاريّة إلّا إذا ذبحوا للعين عتروسا " [2]

وقد تميز الزاهري عن غيره من كتاب الإصلاح بأنه كان أكثر الشعراء سخرية وقسوة بالمتصوفة و الطرقيين ، فنجده في كثير من قصائده يهاجمهم حيث عمد في قصيدة " الشعر الفحل " إلى أسلوب جارح في قدحهم يقول:

"ظنوا السيادة في اللحّي ، و بطولهّن و بالجعود

أبصرتهم يتفاخرو ن على البرية بالجدود "[3]

كما نجده في قصيدة أخرى بعنوان "تحية الإصلاح " يحذر الزاهري من دعاة الطرق الذين زجوا بالجزائر في أضاليل الطرق ويحذر كذلك من الانقياد للجهلة المتكلين على شرف الأجداد أو الانتساب إلى شيخ متصوف حيث يقول:

"ويريد آخر للجزائر أن تظ ل الرشد في طرق وفي أبواب

[1]- صالح خرفي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 37.

[2]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ،ج2 ، ص 38.

[3]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : المرجع السابق ، ص 161.

تلقي زمام عقولها جهلا إلى من كان متكلا على الأنساب

من كل ذي نسب يسلسله إلى جد له متخنت أواب

أو كل ذي دجل يمت به إلى شيخ له متصوف كذاب "[1]

فهو يحمل الزوايا و الطرقية كل المسؤولية في تردي أوضاع الناس ، حيث حارب فكرة النسب الشريف التي يستغلونها فمن خلال جريدة البرق التي أسسها الزاهري 1927 م جعل منها منبرا إصلاحيا للرد على الطرقيين لفضح أساليبهم حيث نجد فيها ركنا دائم في كل الأعداد تقريبا بعنوان " قوارص "هاجم فيها الطرقية و شيوخها و أتباعها و مريدوها وكان عنيفا قاسيا جريء القلم لا يتورع عن النيل من خصومه بشتى الأساليب حيث يقول :

"من يكون صوفيا كذوبا فاز منها بكل خير عميم

أنت لو كنت صوفيا لتلقيت كل ما تفتريه بالسليم

وإذا كنت مصلحا ،فلك الويل ملوما و أنت غير ملوم

أمه تعبد القبور ، وهل يقدر علما عباد عظيم رميم "[2]

كما نجد في قصيدة أخرى يصف الطرقيين بالخمول وحب الذات ويتهمهم بتفريق الدين إلى أشتات وكل ذلك عن خبرة ودراية بأعمالهم يقول :

"مارست أخلاق الشيوخ فلم أجد غير الخمول وحب الذات

[1]– عبد القادر قوبع : الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان و ميزاب بين سنتي 1920–1954، رسالة ماجستير ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ ،جامعة يوسف بن خدة ، الجزائر ،2008.2007 ، ص 91.

[2]– صالح خرفي : محمد السعيد الزاهري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر دط ، 1986 ، ص ص 97–98.

ووجدت منهم من يعد أخا العبا دة وهو في لهو وفي لذات.

طلبوا صلاح المسلمين ففرقوا إلا سلام في طرق لهم أشتات"[1]

كما يواصل في فضحهم فيعرج عن الوكر المنيع للطرقية أي الزاوية التي حادت عن وظيفتها الأساسية إذا كانت تقوم نوعا ما من المعرفة زيادة عن كونها مؤسسة دينية واجتماعية فتحولت إلى حانة يتعاطى فيها الأشياخ والمريدون الخمرة فتجنبوا بذلك عليها وعلى الدين بفعالهم هذه وهي هذا يقول :

"يا رب زاوية بها لم يكن في حانة من خمرة وشراب

سيبقى الشيوخ الصالحون ضيوفهم بالكأس وبالطأس والأكواب

فتحينوا على الدين الحنيف وأفسدوا ما فيه من خلق ومن آداب" [2]

فالشاعر في هذه القصيدة يتحدث عن الزوايا التي ساهمت في نشر العلم و التربية كيف أنها تحولت إلى حانة يتعاطى فيها الشيوخ ومريدوهم الخمر.

كما نجده في موضع آخر يبين البدع التي ترتبت عن تصرفات بعض الشيوخ قائلا:

"يا ويحنا من أمة لم تتبع في الدين غير مشائخ وذئاب

قسّموا عباد الله أغناما لهم فالجاهلون لهم من الأذناب"[3]

[1]–نور الدين أبو لحية : جمعية العلماء المسلمين و الطرق الصوفية و تاريخ العلاقة بينهما ، دار الأنوار للنشر والتوزيع ، سوريا ،ط2 ، 2016 ، ص ص 340-341.

[2]– المرجع نفسه : ص 340.

[3]– محمد السعيد الزاهري : تحية الإصلاح ، جريدة الشهاب ، عدد 161 ، أوث 1928 ، ص 236 .

ويل لأشياخ الزوايا فرقّوا الإ سلام في طرق لهم وشعاب

لولا الشيوخ الطامعون لما هو الإ سلام بين مهالك وخراب

كما يقول الزاهري في قصيدة " ليتني ما قرأت حرفا ":

"بين قوم عمي ،البصائر ،صم ليس فيهم غير الجهول الأليم

هو في الجهل كالحمار ولكن هو في المكر كالمريد الرجيم

يسمع الحق واضحا مستبيا فيعيه وعي العقل الزنيم .

ثم يسعى على إثما وشرا بأفتيات و غيبة و نميم "[1]

فالشاعر الزاهري في هذه القصيدة ابتعد عن اللغة الشعرية كل الابتعاد وذلك بنزعته المباشرة حيث استخدم أسلوب منفرد ،أسلوب فيه السباب والشتم في قوله "عمي ،صم ،كالحمار المريد الرجيم ..... إلخ فالقصيدة مليئة بالمفردات التي تتأذى منها النفس و الأذن معا ،كما نجد صورة بيانية في قوله "هو في الجهل كالحمار و هي تشبيه ، و من بين ما بثه الزاهري من أبيات في جريدة البرق 1927 م،ساخرا بأحد زعماء الطرقية ومن كتاب البلاغ الرئيسي وبخاصة من ذلك الكاتب الذي يدعى سكيرج حيث يقول :

"سكيرج أسكير تهجو شبيبة يشعر كخرء الكلب حين يفور

سكيرج أمسك عن خوارك برهة فما أنت إلا في الحقيقة ثور "[2]

[1]– صالح خرفي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 54.

[2]– عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ، ج2 ،. ص 75.

ففي هذه القصيدة الزاهري يسخر من الكاتب سيكرج وذلك جلي فيها من خلال لفظة " ثور "، ثم يهيب بالدور الكبير الذي قام به شيوخ الجمعية في إصلاح ما أفسده غيرهم من رجال الطرق المنحرفة ،وكيف تغير سلوك العباد ووجه البلاد ويدعو لهم بالرعاية الالهية من حول ولا قوة من أذى على أيدي الطرقيين حيث يقول:

"ومذ أتى علماء الدين وادفعوا سيتنهضون إلى إصلاحها الهمما

ويعملون على نشر العلوم بها أضحت تشابه في أعمالها الأمما

لقيتم من حفاء الجاهلين بكم أذى كثيرا وشرا يقذف الحمم"[1]

1-2-محاربة المستعمر:

بدأ الزاهري مسيرته الإصلاحية في محاربة المستعمر من خلال تأسيسه لجريدة الجزائر 1925م ، والتي اتخذ فيها عبارة "الجزائر للجزائريين" شعارا لها ،وكان هذا الشعار يعد تحديا للاستعمار حيث كان العدد الأول منها لهبا مقدسا ودعوة صريحة إلى النضال وذلك من أجل النهوض بالمجتمع الجزائري ومن جملة ما ورد في هذا العدد قصيدة تحت عنوان "الجزائر تحيي الجزائر " يقول فيها الزاهري:

"ويا ويح أحرار الجزائر كم ...،و كم يهيج عليهم من هموم ،وبلبال

لقد كسر الناس القيود وحطموا ونحن بقينا في قيود وأغلال"[2]

[1]- صالح خرفي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 20.

[2]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ، ص 147.

يقصد الشاعر بعنوان القصيدة أن الجزائر الأولى هي الجريدة أما الجزائر الثانية فهي الشعب الجزائري ، فالشاعر في هذه القصيدة استهل البيت الشعري بحرف نداء " يا " و ذلك لدعوة الشعب للنهوض و الوقوف ضد المستعمر المحتل.

كما نجده في موضع آخر يحذر من الانتخابات والمجالس النيابية التي ضحك المستعمر من خلالها على الشعب الجزائري ، حيث تتبع أعمال النواب الساكتين عن الحقوق المهضومة ثم كشف عن أعمالهم الفاسدة الشعب في الصورة الحقيقة لهؤلاء الذين أطالوا عمر المحتل وقد وصل به الأمر إلى الدعوة الصريحة لمقاطعة الانتخابات حيث يقول:

"ألا لا أراني بعد اليوم ناخبا فلست أرى النواب إلا نوائبا

غدا انتخب الأحجاز شعب المجلس فلا بد يوما أن يذوق المصائبا "[1]

ففي هذا البيت الشعري الشاعر يدعو الشعب الجزائري لمقاطعة الإنتخابات وعدم الخضوع لحيل المستعمر ، والتي تكون نتائجها بأن الجزائر هي الخاسر وأن شعبها هو الذي يعاني ويتحمل نتائج ذلك حيث نجده يصف مصائب التمثيل النيابي ويتهم النواب بالانتهازية وأنهم غير أكفاء وليس لهم أهلية للكراسي التي يستوون عليها ليكونوا لسان الأمة ويكونوا صوت الجزائر ،حيث فضح حقيقة النواب ودورهم في محاولة سلخ الشعب من هويته العربية بأسلوب عنيف قاس ،فهو يرى أن أساس مصيبة الجزائر تكمن في نواب جزائريين كرسوا جهودهم في جلسات النيابة لأجل خدمة أبناء المحتل ، وكما تجدر الإشارة إلى دور الزاهري في نشر الوعي الوطني وذلك من خلال محاربته للتجنس والتفرنج ،حيث نجده يناضل من خلال صفحات جرائد الوطن ،حيث يقول في قصيدة له:

[1]- محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها و تطورها و أعلامها 1903-1931 ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ،1978 ،ص 269.

"قمنا بكل الواجبات ولم ننل بعض الحقوق وشد

أحسبتم الفصحى بخارا مخنقا يؤدي بالحياة ؟ وذلك تخريف

أحسبتم العلم الصحيح يضركم تحنيطه ويصيب التحريف؟

أتنكرون امتيازاتكم على من قال بالأثقال وهو نحيف "[1]

فالشاعر في هذه القصيدة أكثر جرأة ووعيا بالأساليب الاستعمارية حيث نجده في أبياته يدافع عن حقوق أمته بكل جرأة ثم دحض مزاعم المستعمرين وادعاءاتهم الكاذبة دون خوف أو رعب استسلام .

وفي موضع آخر من قصيدة له نجد الزاهري يناضل من خلال صفحات جريدة الإقدام للأمير خالد ويعمل في سبيل نشر الوعي الوطني ومؤازرته في دعواه الرامية إلى رفض التجنس والمطالبة بحق الشعب في تقرير مصيره يقول :

"يا للجزائر من هاضها وسطا حكما عليها وكانت أمة وسطا

لملكها كانت الأيام صاغرة أكان أقسط ذلك الملك أم قسطا

لم تكن تتعلق بعظيم قط همتنا إلا أثنينا ولسنا نعرف القنطا "[2]

فالشاعر في هذه القصيدة استهل بيته بحرف نداء "يا" وذلك من أجل التأثير في القارئ فهو يدعو المجتمع الى الإصلاح والوقوف ضد المستعمر.

[1]– أحمد العياضي : الشعر الجزائري الحديث (مطبوعة علمية) ، جامعة محمد لمين دباغين ، قسم الآداب و اللغة العربية ، ص 81.

[2]–العربي الزبيري : المثقفون الجزائريون والثورة ، ص ص 59–60.

1-3- العروبة والإسلام :

لقد أسس محمد السعيد الزاهري جريدة المغرب العربي كتحد للاستعمار الفرنسي حيث أكد من خلالها على وحدة الأقطار العربية ، فتاريخ المغرب العربي هو تاريخ واحد مثل ما قاله الزاهري "متصل تمام الاتصال ببعضه البعض "[1].

حيث نجده في مجلة " الرسالة " بمقال أشار فيه بأن مصر هي البلاد المتاخمة لبلاد المغرب وأن تاريخ هذه البلاد حافل بالشواهد على أن المغرب يرتبط بمصر منذ العصر الحجري بكثير من روابط النسب والحضارة والدين يقول في ذلك :

"وإن الذي هو ما بيننا وما بين مصر ، لمحض النسب

رباط العروبة يجمعنا ويجمعنا ديننا والحسب "[2].

كما تزعم الكتابة في الوحدة المغاربية فكتب في جريدة الوزير التونسية 1929 م مقالة إلى الوحدة المغاربية والذي أكد فيها أن وحدة المغرب العربي لن تتحقق سوى بالإصلاح الإسلامي ،وكذلك نجد الزاهري من بين رجال الإصلاح الذين أولوا اهتمام كبيرا بالقضية الفلسطينية حيث ناد العرب بالوقوف .

وفي موضع آخر من قصيدة له يقول :

"هل كان في هذه الجزائر للشاعر يبكي على الآباء والأجداد

فهيج شجوا في القلوب وعبرة تهمي على أبناء الواد

وعلى تلمسان التي كانت تتيه بعلمها تيها على بغداد

[1]- العربي الزبيري : المثقفون الجزائريون والثورة ، ص ص 63-64.

[2]- صالح خرفي ، محمد السعيد الزاهري ، ص ص 12-13.

ويذكر النشء الجديد لما مضى للناصريّة من هدى ورشاد

فتهز فتيان الجزائر نخوة للمجد من ذكرى حماد "[1]

فهذه القصيدة نظمها الزاهري بمناسبة طبع "محمد الهادي الزاهري السنوسي " لكتابه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" حيث نرى فيها إبراز الشاعر لوطنيته وغيرته على الأمجاد .

وفي قصيدة "تحية الإصلاح "يقول الشاعر:

"ويلاه أذهل خاطري عما بي ما بالجزائر من أليم عذاب

فنسيت من بؤس الجزائر،كرما ألقاه في الدنيا من الأتعاب

وفنيت في حب الجزائر مثلما يفنى المحب الحق في الأحباب

وإذا أصاب بني الجزائر حدث فهناك عظيم بليتي ، ومصابي "[2]

في هذه القصيدة نجد الشاعر يسخر قلمه خدمة لهذا الوطن ، فوطنيته الصادقة واضحة فيها فتجده يعبر عن آلامه وآمال أمته في كل مناسبة مبرزا حبه لوطنه وشعبه. يد واحدة وتقديم المساعدة لأخوتنا في فلسطين ،حيث أكد من خلال كتاباته أن القضية الفلسطينية هي قضية العرب والمسلمين في مختلف ربوع الوطن ، فالزاهري من بين الشعراء الذين حيرهم نشاط الصهاينة في تنفيذ مخططاتهم في الاستيلاء على أرض فلسطين معتبرا خطر الصهيونية لم يكن على فلسطين فقط بل على الأمة الإسلامية ككل ، يقول الزاهري في قصيدة له :

[1]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، قسنطينة ، الجزائر ، ط2 ،2007 ،ج2 ، ص ص 174-198.

[2]- العربي الزبيري : المثقفون الجزائريون والثورة ، ص 62.

"ألا ويحنا من أمة عربية أبي الدهر إلى أن يهاض جناحها

ويا ويحنا من أمة فتك بها يا لي ، لا تنفك تحمي جراحها

ومن بعد هذا والنوازل جمة يحرم عنها اليوم حتى نواحها "[1]

فهذا النص الشعري يحيل على ارتباط الشاعر بأمته العربية ، حيث نجده استعمل لفظ دال على العروبة في قوله أمة عربية في سياق تألمه لحالها وهذا ما يعكس الوعي بواقع هذه القومية العربية التي ظل حضورها تحصيلا لما يحس به كل أفراد المجتمعات العربية بغض النظر عن أوطانهم القومية التي ينتمون إليها ، و هذا من بين النماذج التي كتبها الزاهري والتي تتغنى وتؤسس للعروبة بوصفها.

1-4- الحث على العلم :

كان الزاهري يهدف دائما إلى الإصلاح الشامل من أجل إخراج المجتمع من محنته وتخلفه وذلك لا يأتي إلا بتضافر الجهود وتعدد الوسائل ومن بين التي استعملها الزاهري هي التعليم " فقد كانت الدعوة إلى العلم سمة بارزة لدى شعراء الإصلاح حيث نجد قصائد الزاهري لا تخلو من الحث على التعليم والبيان حيث يقول في قصيدته "ليتني ما قرأت حرفا" :

من يعش بالعلوم عمرا سعيدا أو يذق بالعلوم طعم النعيم

فأنا لم أزل أكابد في العلم صنوفا من الشقاء الأليم

قد تغربت أطلب العلم من قبل ، و لاقيت فيه أقسى

[1]- خالد أقيس : بنية الخطاب في شعر الحركة الإصلاحية الجزائرية الشهاب نموذجا ،أطروحة دكتوراه ،كلية الآداب و اللغات ،قسم الآداب واللغة العربية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،2016/2015 ، ص 171.

وتغربت أنشر العلم في قومي فلم يأبهوا بنشر العلوم "[1].

فالشاعر في هذه القصيدة يصف شقاءه في طلب العلم ونشره كما نجده يقول في موضع آخر :

"لم أجد في الشقاء من هو أشقى بحياة من عالم محروم

لا ولا متاعب الدهر صعبا مثل نشر العلوم بين العموم"[2]

فالشاعر في هذه القصيدة يصف لنا مشاعر الداعية وما يلاقيه من متاعب وما يتعرض له من أذى وما يصيبه من شر وما يشعر به من اغتراب وهو ينشر العلم في مجتمع يتحكم فيه الجهل ، كما نجد في البيت الثاني من القصيدة محسن بديعي في لفظتي " العلوم والعموم "وهو جناس ناقص .

وفي قصيدة أخرى له بعنوان "الشعر الفحل "نجده يدعوا إلى ضرورة التعليم والتعلم في المدارس حيث يقول:

"يا قوم تفتيح المدا رس للهدى سبب وحيد

ربوا بها الأولاد لكي تسمو على العدد العديد "[3]

فالمستعمر قد عمل على غلق المدارس والمراكز الدينية وذلك للقضاء على الثقافة العربية الأصيلة ، حيث نجد الزاهري في هذه القصيدة يدعوا إلى افتتاح المدارس لأنها السبيل الوحيد للتخلص من سيطرة المحتل ، فهو قد استهل بيته الشعري بحرف نداء في قوله "يا قوم" وهذا دعوة صريحة للشعب الجزائري لإفتتاح المدارس ومدى أهميتها للنهوض بالمجتمع.

[1]- صالح خرفي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 95.

[2]- المرجع نفسه ،ص 95.

[3]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ،ص 163.

وفي موضع آخر يقول:

"ويذكر النشء الجديد بما مضى للناصرية من هدى ورشاد

فتهز فتيان الجزائر نخوة للمجد من ذكرى بني حماد

إني لأذكر آل رستم والذي كانوا أبه من سؤدد وسداد

ذهبت أوائلنا الأباة لحالهم لفعائل ليست بذات سواحر

لكننا لم نقفهم ، وبرورهم حق على الأبناء و الأحفاد "[1]

في هذه القصيدة الزاهري دعا كل موكل بمهمة التعليم وعلى كل شاعر أن يبحث في نفوس النشء أمجاد وتاريخ هذه الأمة ، حيث صور التعليم في قصيدته بأنه ماضي بعيد ،ماضي الأجداد الناصع.

وفي آخر القصيدة نجد الزاهري يدعو قومه لطلب العلم لتخلصوا من محنهم ،ويرتقوا إلى مصاف المتقدمين حيث يقول:

"ولم يجدها إلا العلوم هكذا أخو العلم يحظى بالذي يترجاه.

فهل شيّد فيها للمعارف معهد وكل وليد في الجزائر يغشاه

ولو كان شعبي يقد العلم قدره لأصبح من فوق السماكين مثواه

فيا ليت قومي يعلمون بما سما إليه الورى حتى تتيه كما لاتاهو

[1]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج2 ، ص ص 174-198.

ألا فاجعلوا العلم الصحيح وسيلة فلم يرق إلا جاعل العلم مرقاه ؟"[1]

فالشاعر في هذه القصيدة يرد بأن خلاص الجزائر من مصائبها ومن أدوائها والتي لا يراها إلا في العلوم وتفتيح المدارس ونشر العلم فهو المخرج الوحيد المجدي في مثل هذه الحال.

فالزاهري شاعر مصلح متحمس لخدمة أبناء وطنه بالعلم حيث نجده في قصيد له يتحدث على تعليم القرآن ولغته (العربية) ونشرها في مجتمعه ويقول في ذلك :

"رعاكم الله أهل العلم إنكم تعلمون الورى القرآن والحكما "[2]

فالشاعر في هذه القصيدة نجده يكرر اللفظ لتأكيد المعنى وإقناع القارئ بالتركيز على اللفظ المكرر،وقد استعمل في ذلك الفعل ومصدره ذلك في قوله العلم ،تعلمون.

فانطلق الزاهري كغيره من أعلام الإصلاح إلى تربية النشء وتهذيبه وتثقيفه فقد كان أستاذ في أكثر من مدينة من مدن البلاد حيث نجده يقول:

"وعلمت نشئ كيف يسعى إلى العلى فأمسى على طرق المعالي مدّربا "[3]

1-5- محاربة الآفات الإجتماعية :

[1]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،ج 1، ص ص 158-159.

[2]- صالح خرفي ، دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 20.

[3]- محمد الهادي الزاهري السنوسي ،شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج 1،ص 156.

أسهم الشيخ محمد السعيد الزاهري في الميدان الاجتماعي بمحاربة الجهل حيث دعا للإصلاح الاجتماعي عن طريق محاربة الجهل وتثقيف العقول عن التربية والتعليم ومحاربة القضاء على الفقر المطبق والآفات الاجتماعية المستشرية في المجتمع ،حيث كان له دور كبير وجهود بالغة في نقد الأوضاع المتدهورة حيث يقول:

ويل للجزائر من بينها إنهم كانوا لمحنتا من الأسباب

وهذا يريد لبنتها أن تغتدي وتروح سافرة بغير نقاب

وتظل تذرع بالخطى طرقاتها وتكليلها في جيئة وذهاب

وتقود من تهوى إلى ما تشتهي إن لم يكن رجلا فجرو كلاب ؟

ففي هذه القصيدة الزاهري يصف لنا الأوضاع المزرية التي آل إليها الشعب الجزائري حين تفشت فيه الأمية والتقليد الأعمى للغرب وما ترتب عنه من انحلال خلقي في المجتمع.

وفي موضع آخر يتحدث عن حال الجزائر وما أصابها يقول :

"ويلاه أذهل خاطر عما بي ما بالجزائر من أليم عذاب

فنسيت من بؤس الجزائر كل ما ألقاه في الدنيا من الأتعاب

وفنيت في حب الجزائر مثلما يفنى المحب الحق في الأحباب

وإذا أصاب بني الجزائر حدث فهناك عظيم بليتي ومصابي "[1]

[1]– محمد الصالح الجابري : النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين 1900 –1962، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،د ط ، 1989 ، ص 307.

فالشاعر في هذه القصيدة يرى الحالة الأليمة التي كانت تتردى فيها الجزائر و الانحراف الديني الذي كان يغذيه المستعمر من جهة ويزكيه الجهل المطبق من جهة أخرى.

ويقول أيضا في قصيدة أخرى :

"ويريد للشبان أن يتفرنجوا في لبس قبعة وزي وثياب

وتقليد الافرنج دون جدودهم في منطق مستعجم الأعراب

إن كان تقليد الفرنجة عدة للنشء عن مكاره وصعاب

فليحتفظ شعب الجزائر بالزي يعينه من دين ومن أحساب

فلسوف يلقون الغواية والردى إن التفرنج مرهف الأنياب"[1]

ففي هذه الأبيات الشعرية يحذر الزاهري شعب الجزائر من التعلق بالحضارة الغربية وذلك لما هو من نتائج سلبية تعود عليهم ،حيث عبر عن حالة الجزائر بقوله" أرى الجزائر في أنياب بؤس تمضغها مضغا ،وأراها في صقر يأكلها أكلا لما وأراها بعد ذلك تتخبط في جهالة عمياء وتعمه في ظلال مبين"[2].

ففي قصيدة له تحت عنوان "ليتني ما قرأت حرفا" يقول الزاهري:

" وتغربت أنشر العلم في قو مي ،فلم يأبهوا بنشر العلوم

جهلت أمة الجزائر حتى عميت عن صراطها المستقيم

[1]– أحمد بلعجال : الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري ، رسالة ماجستير ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ والآثار ،جامعة منتوري ، قسنطينة ،2005-2006 ،ص 133.

[2]– محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،ج1، ص 138.

ففي رمداء لا ترى العلم لكن تبصر الجهل ذا الظلام البهيم "[1]

فالشاعر في هذه القصيدة يشعر بالمرارة الكبيرة التي كانت تعتصر قلبه بسبب حالة الجهل التي كانت تعصف بوطنه الجزائر ،نجد في هذه القصيدة الشاعر وظف محسن بديعي في قوله "العلم والجهل" وهو طباق نوعه إيجاب ، فالزاهري يدعوا إلى محاربة الجهل بتثقيف العقول و الرجوع إلى القرآن والسنة .

2-خصائص شعر الزاهري الإصلاحي:

لقد تميز شعر محمد السعيد الزاهري بعدة خصائص ومميزات ولعل أهمها ما يلي :

بداية نجد أن قصائده من ناحية الشكل لم تخرج عن شكل القصيدة العربية القديمة بكل مقتضياتها ، أما من ناحية المضمون غلبت على قصائده الحكمة وشكوى الدهر وشيوع الجهل و الضيق في المجتمع حيث جاءت لغتها وصورها عميقة الدلالة لتتناسب روح النصح والإرشاد والإصلاح.

كما نجد الزاهري قد تأثر بالأقدمين مثل غيره من الشعراء الإصلاحيين حيث نرى بأنه تأثر بأساليب القدامى وصورهم فالشعراء القدامى عندما يصفون الرفقاء فإنهم يشبهونهم بالنجوم والدراري أو المصابيح وهذا ما نلمحه في شعر الزاهري الإصلاحي حيث يقول :

"تراهم نجوما ، أو مصابيح الدجى فهم والدراري والمصابيح أشباه" [2]

فالشاعر في هذا البيت الشعري قد استخدم لفظة المصابيح والدراري والنجوم وهي صور قديمة اعتمدها الشعراء الأقدمين.

[1]- صالح خرفي : محمد السعيد الزاهري ، ص 95.

[2]- محمد الهادي الزاهري السنوسي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ،ص 157.

وكما نجد موضع آخر استخدمه لصيغ القدامى من قوله:

"رب يوم لهوته ثم في الجنينة ما شئت بين خير عصابه"[1]

بل إن التأثر بالقدماء يبلغ ذروته في ترديد بعض الكلمات وكان يفتتح الزاهري قصيدته بها يقول:

"ألا في سبيل المجد حلي وترحالي ومسعاي في العلياء والشرف العالي "[2].

أو في قوله أيضا:

"أحاول مجد ابتغيه مؤثلا وهل كان بعد المجد للحر مرأب "[3].

فالشاعر في هذا البيت قد تأثرالقدماء و هذا ما نراه في هذا البيت الشعري الذي تأثر فيه بامرئ القيس.

كما يبدوا أن الزاهري قد تأثر بالقدماء حتى في الأساليب الفخمة وخاصة المتنبي ، فالزاهري قد تأثر به إلى حد بعيد وذلك حين يفتتح قصائده بالحكم والتعابير التي تصور طموحه يقول :

"أريد من الأيام مالا تطيقه واقصد منها مالا يقصده الشاه "[4]

وفي قوله أيضا :

"يحلق ناس كالصقور الكواسر ويبقى أناس تحت دق الحوافر"[5]

---

[1]- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ،ج2 ،ص 152.

[2]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،ج1 ،ص 147.

[3]- عبد الله الركيبي ،الشعر الجزائري الحديث ،ج2 ، ص 152.

[4]- المرجع نفسه : ص 152.

[5]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ، ص 151 .

وتقليد القدماء يبدوا أيضا من ناحية البلاغة كالصور البيانية والمحسنات البديعية كالجناس والطباق والتقسيم والإيجاز وغيرها مما عني به الشعراء مند القديم .

"ولولا انتشار العلم والجهل في الورى لما كان مغلوب ولا متغلب"[1]

ففي هذا البيت الشعري قد استعمل الإيجاز في تعبيره كذلك من خلال جمعه في بيت واحد ما يفصل في صفحات، حين تحدث عن رقي الشعوب وانحطاطها كما نجد في هذا البيت أيضا محسن بديعي في لفظتي (العلم والجهل) وهو طباق نوعه إيجاب .

وفي قوله أيضا :

"تهش له الدنيا فترضى ويقطب فنغضب والأيام ترضى وتغضب

كذلك شأن الدهر مر مذاقه لقوم وقد يجلو لقوم ويعذب "[2]

وفي موضع آخر يقول:

"وهذا ليس له في المجد من غرض ولا للفعائل من بيض ومن سود "[3].

فالطباق في قوله (بيض وسود) ومنه نستنتج أن الزاهري قد اتخذ من هذا المحسن البديعي (الطباق) وسيلة لصب غضبه و نقده وهجومه على خصمه وبيان الحق فقد استعمل الطباق بكثرة بهدف بيان الفرق الواسع بين السلف الصالح وأهل الطرقية .

[1]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : الشعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ، ص 167.

[2]- المرجع نفسه : ص 167.

[3]- المرجع نفسه : ص 164.

وأيضا فإننا نجد في قصيدة أخرى الزاهري قد استخدم محسن بديعي آخر حيث يقول:

"ولا متاعب الدهر صعبا مثل نشر العلوم بين العموم "[1]

ففي هذا البيت الشعري جناس في لفظتي العلوم ونوعه ناقص فقد اختلفا في نوع الحروف.

أما التقسيم في قوله :

"وهذا أخو حزم يجدّ إلى العلا وذلك لا ينفك يلهو ويلعب "[2]

وكذلك نجد الزاهري قد استخدم أدوات التنبيه بكثرة وهذا من أجل التنبيه بشعره الإصلاحي أو أفكاره الإصلاحية التي يدعو لها حيث يقول :

"ألا في ذمام الله يا خير مرشد إلى حيث خيّم الفخار وطنّبا "[3]

وفي قوله أيضا:

ألا في صلاح الشعب مهجتي وفي الشيب والفتيان والصحب والآل "[4]

وكذلك ظاهرة الاقتباس قد شرفت خطاب الزاهري الشعري الإصلاحي من القرآن والسنة ولأن أسلوب القرآن أعظم أسلوب إعجاز في البلاغة هذا ما جعل شعره أكثر قوة وأكثر إقناعا في تحريك المشاعر الذي اتخذه الزاهري في معالجة قضية الطرق الصوفية التي مست كيان الأمة.

[1]–صالح خرفي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 95.

[2]– محمد الهادي الزاهري السنوسي ،شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،ج1 ، ص167.

[3]– المرجع نفسه : ص 155.

[4]– المرجع نفسه : ص 149.

فنجد يقول :

"يسمع الحق واضحا مستبينا فيعينه وعي العقل الزنيم

ثم يسعى على إثما وشرا بأفتيات و غيبة و نميم "[1]

فالشاعر في هذه الأبيات قد اقتبس من القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿عُتُلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيْمٍ ﴾ ".[2]

كذلك استعمال اللغة الخطابية فهي من أهم الخصائص الفنية التي اتصف بها شعر الزاهري الإصلاحي فبسببها ازدهرت النزعة الإصلاحية ،كما اعتمد على اللغة التقريرية المباشرة وذلك من أجل إيصال الفكرة الإصلاحية فهي وسيلة من وسائل الإصلاح والوعظ و الإرشاد والتوجيه.

ومن بين أساليب الخطاب في شعر الزاهري نجده بكثرة في شعره وذلك للتأثير في الملتقي حيث يقول :

"يا نادب القوم يبكي في مساكنهم ماذا تحاول من نوح ، وتغريد"[3]

وفي قوله أيضا :

"يا قومنا سار الورى نحو العلا السير الوحيد "[4]

وكذلك نجد في بيت آخر:

فيا وطني إن كنت من قبل داعنا ومالك من طرف الحوث من وال

[1]- صالح خرفي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 54.

[2]- سورة القلم : الآية 13.

[3]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ، ص 166.

[4]- المرجع نفسه : ص 162.

فالشاعر قد استعمل النداء في قصائده وهذا لأنه يساعده في رفع صوته لكي يدعو الناس الى اقتفاء أثر الفكر الإصلاحي ،و من ذلك أيضا نجد الشاعر قد استخدم أسلوب النفي في قصائده حيث يقول:

"لا يركب المجد المؤثـ ثل من به داء القعود"[1]

وفي قوله أيضا :

لا تطعموا أن ترقوا والجهل حقائق البنود "[2].

وأيضا نجد أسلوب التمني بكثرة وذلك في قوله :

"فعسى يعود الدهر يخـ دمنا وتخدمنا السعود"[3]

ثالثا – التعريف بالشاعر الطيب العقبي و نزعته الإصلاحية :

1–التعريف بالطيب العقبي :

هو "الطيب العقبي بن محمد بن ابراهيم سليل محمد بن عبد الله "[4] ولد عام 15 جانفي 1890م بقرية سيدي عقبة بمدينة بسكرة جنوب قسنطينة ، يعتبر الشيخ الطيب العقبي علم من أعلام الجزائر و واحد من أكبر علمائها و أشهر دعاتها ، ورمز من رموز الدعوة فيها ،وذلك بشهادة أنصاره ومحبيه ،وباعتراف أعدائه ومخالفيه ،فهو من أعمدة جمعية

[1]– محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،ج 1، ص 160.

[2]– المرجع نفسه : ص 162.

[3]– المرجع نفسه : ص 63.

[4]– الجيلالي ضيف : بناة مجد الطيب العقبي ، وزارة الثقافة للنشر و التوزيع ، الجلفة ، الجزائر ، دط ، 2013 ، ص 14.

العلماء المسلمين الجزائريين و أحد رواد النهضة و أركان الإصلاح في الجزائر ،ورمزا من رموز التضحية والجهاد وداعية من داعية التجديد ،فهو قامع للبدع والخرافات .

كانت عائلة العقبي من الأسر المعروفة بالدين والوقار فحضيت بمكانة مرموقة وسط سيدي عقبة ، فالعقبي تربى وسط عائلة متواضعة تقية وقد أورثت هذه الخصال لابنها من ثقافة وأخلاق حميدة التي ما لبت أن شكر الله في كل مقام على ما حظي به من كرم رباني ، لما بلغ العقبي السادسة من عمره هاجر مع أسرته للحجاز سنة 1895م ، "سافر إلى المدينة المنورة للحج والاستقرار في تلك البقاع المقدسة هروبا من ظلم الاستعمار وبلاده وهناك أدخله والده لتعلم القرآن على يد معلمين مصريين برواية حفص ،وكان حفظه متقنا راسخا فجعل القرآن عدته الحاضرة في كل مواقفه ودرس فن التجويد ، فأتقنه وصار من المجودين المرموقين "[1]،فوجد المنبع العذب للتعلم حيث "كانت المدينة المنورة مقصدا ومحجة لعلماء اللغة ورجالا للشريعة والقراء وكانت به مكتبات تنوء جل المصنفات"[2]، و المؤلفات في شتى العلوم فهو من الشخصيات التي تلقت تكوينها وثقافتها في الحجاز حيث برع في مجالات عدة متماشية مع ما كانت تحتاجه الأمة الإسلامية ،وكان من رواد المكتبات التي كانت في المدينة المنورة مثل مكتبة شيخ الإسلام مكتبة آل صافي ومكتبة آل هاشم "[3] ،فأخذ العقبي يهيم في المراكز الثقافية هنا وهناك ويحتك بعلمائها طلبا للعلم وحرصا على تحصيل الأدب والأخلاق.

وفي يوم 03 مارس 1920 رحبت به الجزائر على نشاط الشعر والخطابة والكتابة بعد أن تأثر بالأفكار القومية ،فشرع بذلك يسهم في انتشال شعبه من الضلالة والجهالة ،وأن يكون واحدا من رجالات الحركة الإصلاحية في

[1]- الجيلالي ضيف : بناة مجد الطيب العقبي ،ص 17.

[2]- المرجع نفسه : ص 19.

[3]-أحمد مريوش : دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،مؤسسة كنوز الحكمة ،الجزائر ،ط1،2013 ،ج1، ص 35.

الجزائر "[1] ، وقد توفي العقبي في 21 ماي 1961 م بعد أن كان يعاني من داء السكري لم ألزمه الفراش منذ سنة 1957 م ، و بذلك انتهت حياة أحد عظماء الجزائر الذين لم يبخلوا لحظة في التضحية من أجل عقيدتهم وأمتهم ووطنهم وطويت سبع عقود من الجهاد الفكري والنشاط الإصلاحي والكفاح ".[2]

2- نزعة العقبي الإصلاحية :

ظهر في سماء الحركة الإصلاحية منذ تأسيسها نجوم لامعة ، سعت إلى نشر الهدى ومناهضة الاستعمار حفاظا على الكيان الوطني ، ونذكر على سبيل المثال الشيخ الطيب العقبي الذي يعتبر من بين الشخصيات التاريخية المميزة التي لعبت دورا هاما في تجسيد التاريخ ، وعمل على أحداث العديد من الانجازات والنشاطات بداية بالعمل الإصلاحي وصولا إلا نادي الترقي في العاصمة ،إذ عمره بعلمه وإرشاده وخطبه التي تعالج فيها الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي حيث قدرت محاضرات العقبي الأسبوعية بالنادي أكثر من خمس محاضرات ،الندوات والحفلات من حين لآخر مع جماعة النادي وبعض الأعيان من مختلف الولايات الأخرى ،وكلها تعالج الطرح الجديد للإصلاح ولم يقتصر نشاطه في النادي ،بل تعداه إلى إلقاء الدروس والمحاضرات وتفسير القرآن في الجامع الجديد بعد صلاة الجمعة وصلاة العصر من كل يوم أحد "[3].

ولقي تواجد العقبي ونشاطه به إعجاب العديد من المصلحين أمثال "الحاج إبراهيم طرابلسي" حيث قال في حقه:

نادي الترقي في الجزائر عامر للوعظ والتذكير و الإرشاد

[1]- عبد الكريم أبو الصفصاف :جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية ، دارالمعرفة،الجزائر،دط،2010،ج2 ،ص 105.

[2]- الجيلالي ضيف : بناة مجد الطيب العقبي ، ص 123 .

[3]- محمد الطاهر فضلاء : الحركة الوطنية الجزائرية (1930 -1945) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط3 ،1986 ،ج3، ص 89 .

ناد به العقبي عقباه النجاه من الجهالة أصل كل فساد

فادي به القرآن يتلى والحديث وقوله أصحاب النبي الهادي "[1]

وأشاد أبو اليقظان أيضا بعمل العقبي في كلمة له خلال افتتاح نادي النهضة بالبليدة ، إن نادي الجزائر بمثابة الأب لهذا النادي ....، وهذا الأستاذ الجليل الشيخ الطيب العقبي النافخ في روح الحياة الإسلامية في نادي الترقي تعده كجسد لهذا العلام المبارك ".[2]

كما أنه لقي من المدح الكثير على لسان الأستاذ "حمو محمد النوري" الذي قال فيه :

يا أيها البطل (العقبي دمت لنا وأجريت منك للخير الينابع

هذه الجزائر أنت روحها فلقد تهتر حافلة بك المشاريع

ويضيف في أبيات أخرى :

"وحينما برزه الإصلاح مد إلى قوم نساء وقوم بالنساء رجوا

"فإن لنفس هؤلاء في فرح وإن دابر هؤلاء مقطوع

شادت ببهمه العقبي السنة فالكل بالفضل للعقبي مجموع "[3]

[1]- الوناس الحواس : نادي الترقي ودروه في الحركة الوطنية الجزائرية (1927-1954) ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر ، دط ،2012، ص 170.

[2]- المرجع نفسه: ص 171.

[3]- النوري حمو بنو محمد : الإصلاح والمصلحون ، المطبعة العربية ، د ط ،د ت ،ص 18.

ويعد شعر العقبي من نوع شعر المنابر لأن أساسه الإصلاح والوعظ والإرشاد ،وأصباغه دينية يكثر فيها لفظ الإسلام والإصلاح والسلف وما شابهها ، كما أن أهدافه إصلاحية ترمي إلى إنماء الوعي الشعبي عن طريق الدين والمبادئ الخلقية.

وركز الشعر على فكرة الإحياء وكانت فيه سلفية تتجه إلى الماضي الذي يمثل المحتوى ، والواقع أن الفترة التي نحن بصدد البحث فيها تمتاز بأمرين أولهما الدعوة وثانيهما الصراع اللذان يتلخص فيهما ما ظهر من أدب إصلاحي شعرا ونثرا والدارس للأدب الجزائري الحديث ،يلاحظ أن الشاعر في هذه الفترة كان يتأمل واقع المجتمع وما استشار فيه من أدباء محاولا إصلاحه من زاوية الدين ،فنراه يذكر في كل مناسبة بأن الرجوع إلى القيم الروحية واقتفاء أثر السلف الصالح هو سبيل النجاة حيث يقول:

"دع ذكر سلمى وسعاد وانهض لإصلاح البلاد "[1]

ويقول في بيت آخر :

لهفي على الشعر أضحى عند بعضهم بضاعة مالها غر وشأن

هذا يتاجر للأشعار محترفا وذاك غايته و نبشان

هدى الدعارة في الأدب رائجة نباتها اليوم أشعار وألحان.

امتدت هذه النظرة فاعتنقها بعض الشعراء أيضا في الأربعينيات إبان النضال السياسي ،فالطيب يهاجم أولئك الذين يتغنون بالشعر وينصرفون عن ميادين النضال والإصلاح إلى ميادين اللهو والغناء المانع لقاء مبلغ مالي أو يخدمون به ركاب المستعمر.

[1]– محمد ناصر : دراسات في الشعر الجزائري الحديث ،ص 77.

"كما يهدف الطيب العقبي بدعوته الإصلاحية في الشعب الجزائري إلى أهداف بعيدة، فأخذ يعالج ذلك المجتمع في عقمه ،ولم يكتفي بتصحيح الصلاة وبيان نواقص الوضوء بل استهدف الى تكوين مجتمع جزائري أصيل "[1]،عماده الدين الذي أصبح ذا وظيفة اجتماعية صريحة وعمل أيضا على إعادة مجد الإسلام ،أما بالتزود من تراث الدين المعروف بقوته الخلاقة وزاده المعرفي والثقافي ،أو عن طريق تقدم اجتماعي ومادي يستعير من الغرب أحسن من عنده من تقنيات ونماذج ثقافية مادامت لا تتصادم مع العقيدة الإسلامية وقيم الإسلام "[2]حيث يقول :

"هيا بنا يا قوم نحو العلا نرقى لتجديد دين الله فهو الذي يبقى

ودونكم أهل الغاية والردى ففيهم وعبد الله ، لاشك قد حقا

أناس دعوكم للضلال وناضلوا ذوي العلم والتقوى العداء لهم حمقا

ألم يعلموا أن الجهالة غيها وخيم ، وأن الجهل بالمرء ثم يشقى

فويل وويل ،ثم ويل لجاهل قضى عمره بطلا ولم يعرق الحمقا

رمى جانيا تلك العلوم التي بها غدا الغير حرا عندما حرم الرفا " [3]

يعتبر العقبي من المؤمنين برسالة الصحافة وخدمتها في ميدان الإصلاح ، و لذلك فقد نشر المقالات الإصلاحية العديدة كمقالة جاء الحق وزهق الباطل ، والإسلام دين الله الخالد ، وفي عائلة الإصلاح الذين وردوا في جريدة

[1]- أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي ودروه في الحركة الجزائرية ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ، دط ، 2007 ،ص ص 84 -95.

[2]- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، أطروحة دكتوراه ، معهد اللغة والأدب العربي ، جامعة قسنطينة ، 199-1998،ص 362.

[3]- صالح خرفي : صفحات من تاريخ الجزائر 1962-1972 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1973 ، ص 283.

البصائر في سنتها الأولى ، وكذلك في الجرائد الوطنية الأخرى سواء نثرا أو شعرا ، ولم يكتف بذلك فأصدر جريدة خاصة لتدعيم حركته الإصلاحية ،وتكبد المشاق الكثيرة لصدورها بسبب الحاقدين على الإصلاح سواء من طرف الإدارة الفرنسية أو فئة الجامدين و المحافظين ، "وقد تيقن من دور الصحافة في المشرق حيث كان مديرا لجريدة القبلة والمطبعة الأميرية في الحجاز ، ومالها في تثقيف وتهذيب سلوكه ، لما تصطنع بالمحافظة على هوية الشعب وإحياء مجد أسلافه ورباط الأمة العربية الإسلامية كما بين العقبي ما للصحافة من أدورا مختلفة في تكوين الفرد والجماعة وتشكيل الرأي العام ، وخدمات المجتمع والرقي به نحو الكمال "[1].

حيث يقول :

"تلك الصحافة لو تندى الأكف لها لاشيء عنها مدى الايم سيلينا .

مرحى لها ولمن قاموا بواجبها يدعوننا علنا للحق مصغينا

أخزى الإله أناسا لا خلاق لهم رعانفا بخسيس العيش يرضونا

قد حرموها ولم يدروا لحرمتها حقا بجهلهم وكيف يدرونا "[2]

من خلال هاته الأبيات يتضح لنا بأن العقبي أعطى للصحافة مكانة هامة ، فقد اعتبرها وسيلة من وسائل الإصلاح لما تعود بالفائدة على الفرد والمجتمع وتشجيع الناس على التبرع بالمال وبكل من يدعهما ، ووسيلة مهمة في الدعوة الإصلاحية ، و ما أدرك من أثر الصحافة العربية في تثقيف وتهذيب النفوس وسلوك الناس وتوعيتهم والمحافظة على هوية الشعب .

[1]– أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، ص ص 84-95.

[2]– محمد السعيد الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،ج1 ، ص 228

فالعقبي دخل معترك الصحافة الوطنية أول الأمر في إنشاء جريدة صدى الصحراء" التي بدأت بالظهور عام 1927م ويرجع اعتماد العقبي على الصحافة كوسيلة في الدعوة الإصلاحية ،وبعث النهضة الأدبية والثقافية لما أدرك من أثر الصحافة الإسلامية العربية في يقظة المشرق ، وشارك تلك الصحافة بلذة الجهاد الصحفي ، واهتم بتفسير القرآن الكريم ، وبعد إقامته في بسكرة أحس بفراغ كبير في نفسه فصار يتمنى لو أتاح الله صحافة حرة يواصل جهاده فيها ، وشارك أيضا في جريدتي " المنتقد و الشهاب " لصاحبهما عبد الحميد ابن باديس و كانت مقالات الشيخ كلها في الدعوة إلى الإصلاح و الإسلام ، و في الهجوم على الطرقية الضالة التي تفسد سمعة الدين وهي المواضيع التي يكتب فيها وسعى أيضا إلى إنشاء جريدة خاصة به سماها "الإصلاح "وهي جريدة إسلامية اهتمت بالجانب الإصلاحي والجانب الديني وأولته أهمية لما يكتبه صاحبها للغة العربية وآدابها شعرا ونثرا ،كما لعبت جريدة الإصلاح دورا هاما في نهضة الأمة وهذا راجع للمقالات والقصائد الشعرية التي تغدي القلب والعقل عند القراء وتمنع نفوسهم بجرأتها وبلغتها المدونة.

كما "كان العقبي من أبرز رجال جمعية العلماء وهو صحفي قدير وصاحب جريدة الإصلاح ،وكانت شخصيته علمية ممتازة ،كما كان خطيب يستطيع أن يحرك أوتار قلوب الجماهير وعواطفهم بقوة بيانه وفصاحة لسانه "[1].

ونجد بأن العقبي كتب مقالات عديدة في جريدة "صدى الصحراء " التي أثار بها مشاعر الأمة وحرك أحاسيسها وعاصرت صدى الصحراء جريدة أخرى لا تقل أهمية عنها ،وهي جريدة" البرق "الصادرة بقسنطينة ثم تونس ،والظاهر أن العقبي جعل من هذه الجريدة ميدانا خصبا لنشر أفكاره الإصلاحية وكان يكتب الشعر فيها أيضا حيث كان العقبي يراسل جرائد أخرى تبنت العمل الإصلاحي ،كجريدة الجزائر وأرسل إليها قصيدة هامة بعنوان "رد التحية فرض" والقصيدة تعبر في مضمونها عن العمل الإصلاحي بالإضافة إلى تفسيرها عن الوجهة السياسية كذلك وجاء في مطلعها :

[1]– ينظر : تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، دار موقم للنشر ، الجزائر ، ط2 ،2009 ،ص 48.

"حي الجزائر ما دامت تحيينا وانهض بشعب قضى في جهله حينا

واعمل لخير بلاد طالما هضمت حقوقها و اتخذ من حبها دينا

وسر حثيثا على تلك الطريق إلى حيث المعارف ،حيث العلم يهدينا "[1]

حيث يدعو الشاعر في هاته الأبيات لتوجيه التحية إلى الشعب الجزائري ، ويحث العلماء على النهضة والرقي ونشر الوعي بين الجماهير ويطلب الخير لهذه الأمة التي هضمت حقوقها ونُهبت خيراتها.

وهي قصيدة من البحر البسيط كتبها الشيخ يحيي فيها "جريدة الجزائر " ويرد تحيتها التي حييت بها الجزائر ،وهي القصيدة التي نشرتها في العدد الأول منها تحت عنوان " الجزائر تحيا الجزائر " وقد تعطل سير الجريدة قبل أن تنتشر .

رابعا– موضوعات و خصائص شعر الطيب العقبي الإصلاحية :

1–موضوعات شعر العقبي الإصلاحي :

1–1–محاربة البدع و الخرافات :

كان الطيب العقبي من العلماء المصلحين المتأثرين بالمفكرين الجدد والتيارات الجديدة في مجال النهوض بالأمة الإسلامية ، ونجد في هذا المقام تأثره بالجامعة الإسلامية التي كانت منبرا لتوحيد المسلمين وإعادة الاعتبار للدين الإسلامي ومحاربة البدع والخرافات وتصحيح العقيدة والدعوة إلى التخلص من الاحتلال الصليبي الذي اجتاح الأمة الإسلامية ، "وانبرى الطيب العقبي يحارب البدعين في كل مكان ويحارب من يقف ورائهم أي الفرنسيين الغزاة بكل

[1]– محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،ج1 ، ص 228.

أدوات الحرب من الدروس وحلقات الوعظ إلى المقالات التي كان ينشرها في صفحات الجرائد آنذاك حيث قال "إن الذين يأتون بالبدع إنهم يهاجرون بمضاهاة الله في التشرع "[1].

حيث كان العقبي عدوا للبدعة حاربها في محياه ومماته يكفينا علما بذلك أنه أوصى أن يدفن بالطريقة الشرعية ،ولا يرتكب في جنازته ما يخالف السنة والأفعال التي أثرت عنه السلف ولو سألناه عن عقيدته سيقول:

"أيها السائل عن معتقدي يبتغي مني ما يحوي الفؤاد

إني لست يبدعي ولا خارجي دأب طول العناد

يحدث البدعة في أقوامه فتعم الأرض نجدا وهاد

ليس برضى الله من ذي بدعة عملا إلا وتاب وهاد

لست ممن يرتضي فيه دينه ما يقول الناس زيد أو زياد

بل أنا متبع نهج الألى صدعوا الحق في طرق الرشاد"[2]

فالشاعر يتنصل من هؤلاء البدعيين ولا ينتمي إليهم ويهددهم بيوم الآخرة وما فيه من عذاب شديد لمن يحدث الفتن والبدع في الدين.

ويبدوا أن العقبي أول من آمنوا بفكرة العمل الجماعي في خدمة الحركة الإصلاحية ، ولذلك لا نستبعد أنه كان من المتتبعين لتحركات ابن باديس ،ونلاحظ بأن العقبي قد دعا بعد عودته إلى الجزائر ضرورة التنسيق الجماعي لرجال

[1]- الجيلالي ضيف : بناة مجد الطيب العقبي ، ص 117 .

[2]- المرجع نفسه : ص 118 .

الإصلاح وتأسيس جبهة إصلاحية تنظم المسلمين وتوحد منهجهم ،وتحقيق أهدافهم ونشر العقبي ذلك في جريدة العقائد الزائفة لترك إفك الافكين وتدحض جميع الدجالين المضللين "[1].

ولهذا يعتبر التيار الطرقي من أبرز العوائق التي تعرض لها الطيب العقبي في حركته الإصلاحية ، الذي يعتبره من العوامل التي تفسد العقيدة الإسلامية ،فنظم شعرا أوضح من خلاله الآثار الناجمة على التيار الطرقي ووقعه على المجتمع وتجلى ذلك في قصيدته المشهورة "إلى الدين الخالص" يأمل ويسعى إلى انتهاج طريق الصالحين يقول :

"أيها الأقوام أن تبغوا الهدى ما لكم والله غير العلم هاد؟

ماتت السنة في هذه البلاد قبر العلم وساد الجهل ساد

و فشا داء اعتقاد باطل في سهول الفطر طروا النجاد

عبد الله هوا ،سيخصه جده صلّو وضل وظل الاعتقاد"[2]

فالعقبي دعا إلى نهضة إسلامية والتمسك بتعاليم الإسلام الذي يتطابق مع الاعتقاد الصحيح والابتعاد عن كل ما يؤدي إلى الانحطاط الأدبي للأمة .

ولقد كان لسيطرة الفكر الطرقي المشعوذ أثره البالغ في توجيه تفكير وسلوك أفراد المجتمع الجزائري عامة والمرأة خاصة فهي أكثرها اعتقادا وتشييعا لهم فهذا راجع لطبيعتها الساذجة ولجهلها أصول الدين ،ذلك لأنها نشأت على الاعتقاد والخرفات والأباطيل ،فأصبحت مع الزمن تصورها جزءا من الدين ،"وإذا رجعنا إلى موقف الشعراء الإصلاحيين من القضية ألا وهي انحراف العقيدة لدى المرأة فإننا نجدهم أكثر سخطا وتشاؤما ،إذا راح يصفون ويتبعون هذه الظاهرة

[1]– أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، ص ص 138-139.

[2]– الطيب العقبي : إلى الدين الخاص ،جريدة المنتقد ، العدد 8 ، 1925 ،ص 33.

السلبية في المجتمع كاشفين عن أعمال هؤلاء المشعوذين و عن البدع المقونة "[1] التي نسبوها إلى الدين وهذا ما نجده في قصيدة الطيب العقبي :

"وقد أحدثوا في الدين أكبر بدعة بطرقهم أيان تمشي وتصبر

وهل أبصرت عيناك دينا كدينهم دفوف وألحان ،وشيج يزمر

وجمع رجال مع نساء وكلهم على سرد ذاك الدين قد بات يسهر

وكم أمرد غنى لهم فتساقطوا على صوته صرعى هوى قد تحيروا "[2]

ولم يقتصر دور الشاعر الإصلاحي على وصف هذه الظاهرة السلبية التي انتشرت في المجتمع الجزائري ،وكانت رسالته ترمي إلي أهداف بعيد ، فمعظم الشعراء الإصلاحيين نجدهم يكشفون عن الداء الاجتماعي ،ويحاولون البحث عن الحل لهذه المشكلة ،ومن بينهم نجد الشاعر "محمد العلمي" الذي كشف عن ظاهرة الانحراف الديني التي سببها الجهل الذي استحوذ على العقول ، وغشي الأبصار والبصائر وهي نظر الشعراء الاصطلاحين لا يوجد حل هذه المعضلة سوء العلم الذي يقود بالأمم إلى الرقي والتقدم .

ويذكر الطيب العقبي من جهته الانحراف الذي طال على الطرقية بعد ما كانت مراكز لتخريج العلماء والمجاهدين ، أصبح أصحابها مجرد انتهازيين رغم المكانة التي تمتعوا بها يقول:

"فما الطرق في هذا الزمان مجادة ولنكها يبغي بها أهلها الرزقا

تجارة قوم عاجزين سبيلهم سبيل الضلال جانبوا العلم و الصدقا

[1]– أحمد توفيق المدني :كتاب الجزائر ، المطبعة العربية ، الجزائر ،دط ، ص ص 351-352.

[2]– الطيب العقبي :لحي الله أهل الغي ، جريدة البرق ، العدد 12 ، 23 ماي 1927 ،ص 03 .

وشيخهم الأتقى(الولي) بزعمه إذا ما رأى مالا أمال له عنقا

أولئك عباد الدراهم ويلهم سيمحقهم ربي و أموالهم ، محقا.

متى أبصر شياطين فتنة و يا ليت أني لا أراهم ولا ألقى "[1]

فالعقبي مكث سنوات عديدة يجادل الطرقيين و البدعيين ويذكرهم بالآيات القرآنية وبمختلف الحجج التي تنص على القرآن والسنة وإن عجزوا ، فإن الشاعر قد أفلح في إيقاظ الوعي لدى الشباب وخاصة المتعلم واستطاع أن يؤثر في الكثير من الضالين ويبطل الأباطيل يقول:

"وجادلتهم بالواضحات مبينا طرق الهدى و ما به الدين يأمر

وقد عجزوا إذ لا لدليل لديهم و ليس لهم في موقف الصبر مخبر

فقلت صلوا واسمعوا المقالتي و من سنة المختار لا تنكروا

فالشاعر العقبي هنا يدعوا إلى الرجوع إلى الدين الصحيح وتعاليم الدين الإسلامي والاقتناء بالسنة النبوية الشريفة ، فهو يحارب البدعة ويناصر السنة ، ويعد البدع والضلالات العاتية عالج الطيب العقبي في مقالة "الدين والاجتماع مشكلة الانحطاط حيث قال "بل سبب انحطاطنا ما أحدثه المحدثون في الدين ، وما أعطوه من عند أنفسهم اسم الدين وما شرعوه لنا في الإسلام عالم يأذن به الله ودعوة إلى اعتقاده والعمل بمقتضاه و يضيف قائلا أما الدين الإسلامي فبرى من هذا كله والشريعة مطهرة من كل رجس و عبث لأنها من وضع الحكيم الخبير "[2]

[1]- محمد بك : محمد الأمين العمودي ودوره في الإصلاح من خلال جريدة الدفاع ،رسالة ماجستير ،كلية الآداب والعلوم الانسانية ، قسم التاريخ و علم الآثار ، جامعة لخضر الحاج ، باتنة ،2008 -2009 ،ص117.

[2]- الطيب العقبي : الدين و الاجتماع ، جريدة المنتقد ، العدد 6 ، 6 أوث 1925 ، ص 95.

حيث يقول :

شياطين انس خادعون بإفكهم رؤوس ضلال للزهادة أظهروا

يقولون هم أهل السلوك بطرقهم و ما هم عليه باطل و متبر

وكم فعلوا الفحشاء سرا و جهرة و عنهم قبيح القول يروى ويؤثر

فراعنة ما بيننا قد تألهوا و قد هودوا الأتباع ونظروا

وكم فرقوا السلام بين اجتماعه و لكنهم في غيبهم قد تجمعوا

وكم تركوا الطاعات وارتكبوا قالوا لمن ينهاهم الله يغفر

في هذا النص الشعري يكشف الشاعر درجة الانحطاط الخلقي والانحراف الفكري وينشر العقائد المخالفة للدين وتحريفه من قبل الطرقيين ، وأصبح الناس يعتقدون في شيوخ المرابطين على أنهم واسطة تقربهم إلى الله وصاروا لا يصلون ولا يخشعون ويتسابقون إلى الوفاء ويقومون الزكاة ويصومون رمضان لا على أساس الحجة الشرعية في ثبوته و انقضائه ولكن على رؤسائهم من المرابطين و الطرقيين .

"فالعقبي لا يهاجم أصحاب الزوايا الذين يقومون بنشر الأعمال الخيرية ، بل يتصدى للذين يستغلون فطرة الشعب والذين لا يبالون بمقدسات ومقومات الأمة الجزائرية ويسعون لجمع الأموال وتحقيق الرغبات الخاصة بغض النظر عن المصلحة العامة الوطنية "[1].

[1]– أحمد مريوش : الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، ص ص 74-75.

ولعل جانب المتاجرة بالدين كان أشد حملا وعبئا على العقبي الذي نشر العديد من المقالات النثرية والشعرية لمحاربة أدعياء الذين يتصدون به جيوب الشعب البائس و قد عبر عن تلك الأعمال بالأعمال الشيطانية حيث وصفها بقوله:

"متى ألقتهم شياطين فتنة ويا ليت أني لا أراهم ولا ألقى

وقد أولعوا بالفسق سرا و جهرة فحيث نراهم تبصر الخبث و الفسقا "[1]

في هذه الأبيات نجد بأن العقبي لا يعتمد على المجاملة والتنميق بالأسلوب المباشر و العلني في محاربة الضالين و الطرقيين ، فالعقبي يرد على الذين هاجموه بشتى الطرق و الوسائل لحد تشويه سمعته وفصاحة اللسان ، والبرهان والاستدلال والصراحة فيقول :

"مذهبي شرع النبي المصطفى واعتقادي سلفي ذو سداد "[2]

خطتي علم وفكر ونظر في شؤون الكون بحث واجتهاد

وطريق الحق عند واحد مشربي مشرب قرب ولا ابتعاد.

فالشاعر في هذه القصيدة تنص دعوته على أن الإسلام هو السمح المعتدل البعيد عن الضلالة و الانحراف الديني .

ولما كانت فكرة الإصلاح تبدأ من الذين وتنتهي عنده فإن الشعر الإصلاحي لا ينسى لحظة واحدة ، وفي أي قصيدة يتحدث عن القرآن والسنة لأنهما المبدأ والمنتهى و هما الأساس الذي بنيت عليه الفكرة الإصلاحية ، يقول الطيب العقبي:

[1]- صالح خرفي : صفحات من الجزائر ، ص 286 .

[2]- الجيلالي ضيف : بناة مجد الطيب العقبي ، ص 116.

"كتاب ربي حجتي ما مثله للمرء هاد

و طريق أحمد له هدى ودليل قصدي والسناد"[1]

ويقول أيضا :

"حجتي القرآن فيما قلده ليس لي ،إلا على ذاك استناد

وكذا ما سنه خير الورى عدتي وهو سلاحي والعتاد"[2]

وتعتبر قصيدة "إلى الدين الخالص" للشيخ الطيب العقبي أكبر دليل على منهج الإصلاحيين في الدعوة و الإصلاح يقول في مطلعها :

"ماتت السنة في هذي البلاد قبر العلم وساد الجهل ساد

أنني لست ببدعي و لا خارجي دأبه طول العناد

بل أنا منبع نهج الأولى صدوا بالحق في طريق الرشاد"[3]

فهذه دعوة لمحاربة الأشخاص الذين وظفتهم فرنسا لتغريب السلوك الديني الصحيح وللذين صدوا عن طريق الرشاد و الصلاح.

[1]– عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ج2 ، ص 24.

[2]– نور الدين أبو لحية : جمعية العلماء الطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما ، ص 345 .

[3]–المرجع نفسه : ص ص 344-345.

1-2-محاربة المستعمر :

عالج أدباء جمعية العلماء الأحداث التي ألمت بالشعب الجزائري خلال الفترة الاستعمارية فلا يخلو عدد من صحائفهم من قضية قضايا الإصلاح ،"وبعد عودة العلماء من الخارج وتشكيل أحزاب سياسية وجمعيات ونوادي ، شرعوا في النظر إلى الاستعمار نظرة تحسب عليه أكثر مما تحسب له إذ نحن نبحث عن الموقف ذلك و تطوره إلى نهايته ،غير أن الدارس للحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر يعرف أن نظرته كانت ربما خاضعة لظروف موضوعية لأن تطور الأحداث والظروف جعلتهم يفصحوا عن أفكارهم الحقيقية ونظرتهم الأخيرة إلى الاستعمار "[1].

ونجد بأن العقبي ألقى خطابا أمام السلطات الاستعمارية الفرنسية وقال بحدة وصراحة "إن الحال في الجزائر ليست مثلها في فرنسا،إننا نتعامل فيها معاملة الكلاب بينما الجانب من الأسبان والطليان وغيرهم يتمتعون بكامل الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون ، إذ نحن المسلمين أهل الوطن تسلم للمذلة والهوان ."[2].

وبعد إصدار جريدة " الإصلاح "عاد العقبي إلى النقد اللاذع فقال" منتقدا السياسة الاستعمارية مطالبا ببعض الإصلاحات التي لا تقبل التأجيل ولا التأخير سبب المسلم المقيد المغلول بقوانين خاصة ويشتم لأنه يعمل ولأنه لم يكن غنيا أو ملاكا أو صاحب عمل يعتبر بثروته والوطن ولكن هل وجد المسلم المغلول من سبل لكسر تلك القيود وتلك الأغلال حتى يعلم كما عمل وعلم غيره أبناء فرنسا "[3].

يقول الطيب العقبي في قصيدته حالة موجية من الاستعمار و غفلة موجبة الاعتبار:

---

[1]- علي مراد : الحركة الاصلاحية في الجزائر من 1925 الى 1940، دار الحكمة ، الجزائر ،ط2 ،دت ،ج2 ، ص 107.

[2]- سومية بوسعيد : القضايا الوطنية من خلال صحف ج ع م ج البصائر نموذجا ،أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة سيدي بلعباس ،2004 ، ص 32.

[3]- أحمد الخطيب : جمعية العلماء المسليمن الجزائريين وأثرهما في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،دط،1985 ،ص 98.

"ماتت السنة في هذي البلاد قبر العلم و ساد الجهل ساد

وفشا داء اعتقاد باطل في سهول الفطر طرا و النجاد

عبد الله هوا شيخه حده ضل فضل الاعتقاد

حكموا عاداتهم في دينهم دون شرع الله إذ عم الفساد "[1]

ولما يئس العلماء و المصلحين من سياسة الوعود وسياسة الإصلاحات الاجتماعية التي تفتح الطريق للاستعمار وتوصد أركانه أكثر فأكثر ، تبين للرجل إن الطريق مع فرنسا مسدود وعليه بدأ يغير والكشف عن نظرته الحقيقية للاستعمار في وضوح وصراحة للمستعمر بعد أن انتشر الفكر التحرري في العالم العربي.

و في الأخير نستنتج أن الطيب العقبي قد وضع بصمات عدة بمواقفه الشديدة ضد حكومة الاستعمار.

1-3-العروبة والإسلام :

تضافرت عدة عوامل في تكوين شخصية العقبي سواء منها الوراثية أو المكتسبة فقد ترعرع وسط أسرة متواضعة عرفت بالتقوى ومحبة العلم ،فمرحلة الصبا قضاها في مسقط رأسه بسيدي عقبة، فهي تعد بذلك بيئة عربية إسلامية حافظت على أصالتها ، ولم تتأثر بالحضارات العربية الدخيلة ولعل ما يميز البيئة الاجتماعية التي عاش فيها احتواءها على المآثر الإسلامية كما لا يستعد أن يكون العقبي دخل الكتاتيب القرآنية في سن مبكرة على غرار المنطقة وهي سنة شائعة ما تزال شائعة إلى يومنا هذا "[2].

[1]- نور الدين أ بو لحية : جمعية العلماء الطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما ، ص 344 .

[2]- محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المبارك ، دار الثقافة العربية ، الجزائر ، دط ، 2007 ، ج2 ، ص 105.

وقد راح يتابع حلقات العلم والتحصيل والأخذ بالثقافة العربية الإسلامية وبدأ تعليمه في الكتاتيب مند استقرار عائلته في الحجاز ،وقد حفظ القرآن الكريم على أيدي معلمين مصريين ،فقد كانت مدينة العلماء ومحط رحالهم ، من جميع القطار العالم العربي والإسلامي الكبير ،وهي معلم جل الثقافة العربية الإسلامية المحافظة ومما لاشك فيه أن العقبي تأثر بالبيئة الحجازية واتضح ذلك في لباسه وسلوكه وحتى في أدبه وقد أبرز ذلك في قوله :

" بل أنا مسلم نشأت بأرض هي خير البلاد بالإطلاق "[1]

و يقول في موضع آخر من قصيدة له :

"رب عجل إلى الحجاز مآبا فهي أرض لأمة مرحومة "[2]

ففي هذه القصيدة الشاعر العقبي يبوح عن شوقه و تلهفه إلى العودة إلى أرض الحجاز ، في حين نجده أيضا يعبر بحرقة و فرط صبابة عن اشتياقه لأرض الحجاز وقد ضره ألم البين والبعاد لوطنه الثاني يقول:

"سلام على أرض الحجاز ولست على حب الحجاز آلام

سلام على وصحب عهدتهم وإن بعدت منهم عليك خيام

سلام تشوق أحرق البين قلبه وعاوده بعد الغرام غرام"[3]

فالشاعر الطيب العقبي أعلى من شأن فكرة القومية ،كما عبر عن شدة تأثره على ما أصاب الشرق من شتات وضعف ، وهذا ما يثبت الأواصل و الروابط التي تجمعنا.

[1]- محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة ، ص 107.

[2]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : عراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ، ص 128.

[3]- المرجع نفسه ،ص 238.

و قد اختلفت مواقف الطيب العقبي من قضايا عصره باختلاف أهمية الأحداث ، حيث نجد موقفه من جامعة الدول العربية والقضية الإسلامية حيث كانت كتابات وخطب العقبي في مجال العمل الإصلاحي بالجزائر لإحياء النهضة العربية الإسلامية ، وكان العقبي يعبر عن وجهة نظره تجاه العالم الإسلامي في كل المناسبات وخلال الاجتماعات التي يعقدها و أن حركة الإصلاح عنده تنطلق أساسا من الاجتماعات التي كان يعقدها ، وفي مارس 1945 م عرفت مصر حدثا عربيا هاما تمثل في ميلاد الجامعة العربية ، وأضحت القاهرة قلب الاسلام النابض و قبلته السياسية"[1].

كما كان للعقبي علاقة متينة ببعض أنصار الفكرة العربية والجامعة الإسلامية ، ويتضح ذلك في اهتماماته بالمراسلات العديدة مع المشارقة والمغاربة ونشرها على صفحات جرائد الإصلاح ،بالإضافة إلى المراسلات الخاصة ومن أمثلة هذه المراسلات ارتباطه بأساتذته بالحجاز ،كما كانت له علاقة وطيدة مع أصحابه الذين أسهموا في الدفاع عن قضايا العالم الإسلامي و دعاة القومية العربية ،ومنهم الأمير "شكيب أرسلان "إذ تبادلا بينهما الرسائل العديدة بعد عودة العقبي من الحجاز ومما لاشك فيه أن مراسلات العقبي مع أرسلان كانت تتمحور حول قضايا العالم العربي والإسلامي ، وما آل إليه أمره تحت وطأة الاستعمار "[2] وقد نظم شعرا معجبا بشخصيته حيث قال :

"يا أبا الحارث العظيم المهام أنت و الله أرسلان وليث

أنت في الحرب من أسود الثرى فعلا وفي السلم بحر وجود وغيث "[3]

ومن هنا نرى أن العقبي كان دائما الدعم للوحدة العربية وتعزيز قضايا العالم الإسلامي ودعا إلى ضرورة توحيد الجهود بين أطراف العالم العربي و الإسلامي.

[1]– أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، ص 397.

[2]– أحمد توفيق المدني :حياة كفاح 1925 – 1945 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،ط1،1977 ، ج 2 ،ص 137.

[3]– محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ، ص 248.

في حين نجد موقفه من القضية الفلسطينية و التي اعتبر فيها هذه القضية قضية العالم العربي الإسلامي ،وأبرز ذلك في نشاطه الإصلاحي والدعوة لمساندة الفلسطينيين وكان يرى ضرورة تقديم المعونة المادية والمعنوية للفلسطينيين .

وفي سنة 1974م أسس العقبي بنادي الترقي لجنة للدفاع عن فلسطين و قد قررت الجامعة العربية والعالم الإسلامي بجعل يوم الجمعة الموافق لـ03 أكتوبر 1947م يوم فلسطين في العالم كله لإظهار عواطف المسامين حيث أحييت العاصمة الذكرى بقلوب خاشعة بنادي الترقي ،ووضعت الصحف الجزائرية اليوم بيوم فلسطين "[1].

وبعدها عقد اجتماع في منزل مصالي الحاج وخلص الاجتماع إلى حلول أرضت كل الأطراف وتم الإجماع على تكوين الهيئة وتسميتها بالهيئة العليا لإعانة فلسطين وتضم خمسة أعضاء وهم (العقبي ، الابراهيمي ، بيوض ،عباس مصالي الحاج) ،و بعد هذه المرحلة تمت اللجنة بإرسال برقية إلى جامعة الدولة العربية تظهر بذلك تضامنا مع الجامعة لمكافحة الصهيونية "[2].

ولم يبتعد العقبي عن الاهتمام بالوحدة الإفريقية وهي بذلك خطوة لتصفية المنطقة من الاستعمار، وسعى لعقد مؤتمر مغاربي يضم الأقطار الثلاثة تونس والجزائر والمغرب لتوحيد الصف السياسي وخلق جامعة عربية لأفريقيا الشمالية.

1-4-العلم على العلم :

يعتبر التعليم القائم على أسس سليمة هو أساس نهضة الشعوب وقيام الحضارات والواقع أن المجتمع الجزائري تراجع بسبب الاحتلال الفرنسي ،رغم جهود العلماء المسلمين الجزائريين التي تعارضت بالسياسة الاستعمارية القائمة على

[1]-أحمد مريوش : الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، ص 413.

[2]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ص 387.

التجهيل والفرنسة ومحاولات الادماج ، واشتدت الدعوات الى الاهتمام بالتعليم من خلال الصحف والتجمعات والندوات والشعر والنثر، انطلاقا من أن تفوق الغرب وسيطرته على الشرق إنما بسبب امتلاكه العلم فيقول العقبي :

"الناس في ضوء النها ر وهم عكوفا في سواد

طاروا بآيات الصعو د وطاردوا الطير الصعاد

تسابقوا ببخارهم فتقدموا خيل الطراد

العلم كان دليلهم سعيا وضربا في البلاد

العلم ملكهّم نوا صينا فلجّوا في عناد"[1]

فالتعليم يشكل ركن أساسي في العمل الإصلاحي إذ يقول الطيب العقبي"نريد العلم ونحب رجاله ونرغب في نشر الأخلاق الكاملة بين أفراد شعبنا الذي لبث هذه المدة فقيرا منها ونود العمل على إسعاده ونحاول الصعود به على أقصى درجات الرقي والكمال ونتمنى كثيرا أن يكون لنا ذلك ويتم لنا في كل زمن بمساعدة فرنسا ومناصفة الأحرار من أبنائها المنصفين "[2] .

وشكل التعليم والتربية الحل الثاني لدى المصلحين للنهوض بالمرأة ونلاحظ أن الإصلاح الجزائري عموما تبنى نظرة الشيخ محمد رشيد رضا لقضية المرأة حيث مسك بالأصول ، ورفض مناقشة مسألة الحجاب ،وجعل النهوض بما يمكن في تعليمها وتربيتها تربية إسلامية ،من خلال نموذج السيرة النبوية وتعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع زوجاته وسيرة السلف في حين نجد غياب وضع حل فعال لتعليم النساء الأميات فلم ينجح المصلحون فيه إقامة نوادي أو مدارس نسوية ،كما لم يستطيعوا فتح أجنحة في المساجد لحضور النساء للدروس والمواعظ وهذا ما أعده

[1]– عبد القادر قوبع : الحركة الإصلاحية في منطقي الزيبان وبني ميزاب ، ص 178.

[2]– سومية بوسعيد : القضايا الوطنية من خلال ج ع م ج البصائر نموذجا ، ص 32.

المجتمع وتقاليده في مسالة عدم خروج المرأة من بيتها لذا اكتفى المصلحون بالدعوة لتعليم البنت لإعدادهن للمستقبل فكتب الطيب العقبي سنة 1927 م.

"ما حياة المرأة مع زوج له ليست أدبية

غير سجن أبدى عظمت فيه المصيبة "[1]

و هنا الإشارة بأن الاستمرار في ظلم المرأة وإجحافها في حقوقها المادية كالميراث ، وكذلك سلبها لحقها في التربية والتعليم سينعكس سلبا على أسرتها وأبنائها و ينعكس على تأخر المجتمع.

1-5-محاربة الآفات الاجتماعية :

اختلفت وتعددت المقالات الصحفية في جريدتي البصائر والبلاغ الجزائري فهي تنص على محاربة الآفات الاجتماعية كشرب الخمور والدعارة ،فقامت بنشر العديد من المقالات تدعو الشعب العربي والإسلامي لإقلاع عن آفات الغير مرغوب فيها والمحرمة ،إلا أن الاختلاف الظاهر هو أن جمعية العلماء المسلمين ومختلف الكتاب المصلحين في جريدة البصائر يعتبرون أن بعض السلوكيات التي تنتشر في المجتمع الجزائري هي من صنع بعض الطرقيين ، ومما اهتمت البصائر بمحاربتها ظاهرة شرب الخمر و اعتبارها من أكبر الكبائر فهو يؤدي إلى جنون العقل والقلب فالشيخ العقبي في قصيدته (كيف يكون بعد مماته) :

"شرى الورى من عاش طول حياته في الخمر منهمكا ،وفي لذاته

قد ضيع الدنيا ، و أذهب عقله والدين أصبح من كبار عدائه

إن عاش فهو إلى الضلالة سائر أو مات كيف يكون بعد مماته

[1]- عبد القادر قوبع : الحركة الإصلاحية في منطقي الزيبان وبني ميزاب ، ص 217.

يسطو على جيرانه في سكرة وإذا صحا لم يؤمنوا عثراته

و عفاه من خزي مقالة قائل لا تصحب السكران في حالاته "[1]

ففي هذه القصيدة يوضح لنا الطيب العقبي الحال الذي سيؤول إليه شارب الخمر ، وما يخلفه من أضرار بعد مماته وانعكاساته السلبية على مجتمعه .

كما اهتمت أيضا جريدة البصائر بمحاربة الزنا فهي مضرة بالناس و هي الباب الوحيد الذي يدخل منه الشبان إلى جميع الرذائل و ارتكاب الفحشاء و سوء الأخلاق ،فهي أشد الأخطار على الزواج وتفسد المحبة الأخوية.

فنجد العقبي في قصيدة له يحارب التبرج والسفور باعتبارهما آفة سلبية ، تؤدي إلى إهدار الشباب وإفساد المرأة حيث يقول :

"حيثما تلتفت تجد قمرايز هو وشمس بديعة الإشراق

وجميلا ثم جميلا ومعشو قا ،غدا أمي جماعة العشاق

هذا الجزائر كلها فانظر فاتنات وفاتن في الزقاق "[2]

كتب الطيب هذه الأبيات بأسلوب تهكمي ساخر حول آفة التبرج والسفور، فهو يلمح لحدوث المعصية والانغماس في الملذات ،فالأخلاق الرذيلة تؤدي للوقوع في الشرك والابتعاد عن شرع الله تعالى .

[1]– محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ، ص 243.

[2]– عبد القادر قوبع : الحركة الإصلاحية في منطقي الزيبان وبني ميزاب ، ص 214.

2-خصائص شعره الإصلاحي :

امتاز شعر الطيب العقبي بالتفسير والبساطة والكلمة السهلة و سرعة الاستدلال من دون تكلف ولا تصنع لفصاحته وإلمامه بالأمور الدينية وسعة اطلاعه وخاصة استنباطه من الأحاديث الشريفة ، كما اهتم بدروس اللغة العربية وآدابها لأهميتها في تعميق معرفة الإصلاح باعتبارهما لغة القرآن الكريم لقوله تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ "[1] ،فالشاعر العقبي هو ابن القرآن الكريم تربى في كنفه وشرب من رحيقه فلا شك بأنه تأثر بأسلوب ولجأ إلى ظاهرة الاقتباس من النصوص القرآنية كما يظهر في هذه الأبيات فيقول:

"تعلّموا وامشوا في مناكبها وجانبوا كسلا أودى بماضيها

وزاحموا الغرب في الدنيا و لذّتها وجدّدوا كسلا أودى بماضيها"[2]

فالشاعر هنا اقتبس من الآية الكريمة ﴿هُوَ الذِّي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِنْ رِّزْقِه وَ إِلَيهِ النُّشُورُ﴾"[3].

وكذلك استعمل الشاعر أسلوب الأمر في الأبيات الشعرية عدة مرات، وذلك للتأكيد و السعي إلى كسب الرزق والخير وينبذ ظاهرة الكسل و الخمول وفي معنى الآية يشير إلى أن المشي في الأرض سهل ويسير فالخير كله مخلوق للعباد.

ومن جملة ما اتسم به الطيب العقبي السخرية والتهكم وهي طريقة يهدف إليها الكاتب لتحقيق أهداف فنية يهدف إليها الكاتب لتحقيق أهداف فنية أدبية لا يؤديها الأسلوب الجاد .

---

[1]- سورة الزخرف : الآية 03.

[2]- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ، ص 231 .

[3]- سورة الملك : الآية 15.

كما برزت في أسلوبه خاصية الترسل ،"فجاء أسلوب بألفاظ سهلة فصيحة سهلة لا غرابة فيها ولا غموض يعتمد القيم الدقة في تقديم المعاني و الموضوعات ، فكما كان واضحا في أفكاره ،كان واضحا في عباراته ،كما وظف الأسلوب الإنشائي بخطاباته الصادقة وعباراته القوية فكان يحث ويحفز ويبتعد عن الصياغات التصويرية بأدواتها البيانية وقلة القيود التشكيلية كالسجع الملازم ،فجاء أسلوبه مرسلا "[1].

وبالرغم من أن السمة العامة لأسلوب العقبي الترسل نجده يميل بين الحين والآخر يميل إلى التنعيم بوسائل مثل الطباق والازدواج والسجع ، وأسلوب العقبي المترسل في عمومه لا يخلو من بعض المحسنات البديعية التي نجدها في ثنايا نصوصه كالجناس والطباق والمقابلة ولكنها من غير تكلف وتصنع لأن ميزة نثره عدم الاهتمام بالشكل أكثر من الفكرة والمعنى ، وما وجد لديه من المحسنات البديعية فهو عفو الخاطر.

و نجد الطيب العقبي قد استعمل الطباق في أبياته الشعرية فيقول :

"حلال قلبي فإما تركته وصبري عنهم ما حييت حرام "[2]

ويظهر ذلك في الكلمة الأولى من الشطر الأول والكلمة الأخيرة من الشطر الثاني حلال وحرام وهو طباق نوعه إيجاب .

فالعقبي تأثر بالشعراء القدماء مما جعله يكثر من التضمين حيث يضمن شطرا أو أكثر في أبياته الشعرية كقول :

"لم يلق بعدهم شيء تلوذ به إلا بقية دم مآقينا"[3]

فالشاعر في هذه القصيدة قد ضمن بيته الشعري من قصيدة المتنبي و التي يقول في مطلعها :

[1]- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، ص 450.

[2]- محمد الهادي السنوسي الزاهدي :شعراء الجزائر في العصر الحاضر ،ج1 ، ص 240.

[3]- عبد الله الركبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ،ج2 ، ص 154.

ما حياة من منقلبيها لو هاب تربى

كما يظهر ذلك التفاعل على الخلاف بين الماضي والحاضر من خلال وقوف الشعراء على الأطلال كقول العقبي:

"وقف بنا نندب الإطلال بعدهم فالشعب فر بما ابقوا به عينا

و في الأخير نستنتج من خلال ما تطرقنا إليه في هذا الفصل التطبيقي بأن شعراء الإصلاح و تحديدا محمد العيد و الزاهري و العقبي قد تجندوا و اصطفوا كل وفق نهجه ومبدأه ، حيث نجد محمد العيد في شعره إصلاحيا اجتماعيا بعيدا عن القضايا الفلسفية أو العقلية المجردة ، بل إن محاوره لا تخرج عن قضايا الأمة و الوطن ، فهو شاعر ملتزم يكتفي بتوجيه المجتمع وجهة تخدم القضايا الأساسية الملموسة حيث اتسم شعره بالبساطة و الوضوح ، و أما الزاهري فنجده شخصية فذّة في مجال الإصلاح في الجزائر حيث تجلت في أشعاره نقده العنيف للطرقية و محاربته لها ،فد كان نشاطه الثري متشعب في خدمة الفكر الإصلاحي ،و قد اعتمد العقبي على وسائل مختلفة في تحقيق جهوده الإصلاحية كالصحافة و الخطابة و ذلك من خلال الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي و الديني و السياسي و الثقافي .

خـــاتمـــة

خاتمة :

بعد الانتهاء من الدراسة نلخص إلى النتائج التالية :

-أن الشعر الإصلاحي في الجزائر ارتبط بالمفهوم التقليدي المعروف عند العرب القدامى، و لكن نظرتهم إلى وظيفته و دور الشاعر في الحياة و المجتمع جاءت استجابة لواقع سياسي و اجتماعي مفروض مما جعلهم يغلبون النظرة إلى المضمون على حساب الشكل .

-الشعر الإصلاحي يعالج مختلف المواضيع التي لها علاقة بالمجتمع ، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية ...فهو يمثل مرحلة انتقالية بالنسبة للجزائر.

- قدرة الشعر الإصلاحي على محاكاة الواقع ،فهو بمثابة سجل أمين نقل أحداث مرحلة زمنية مرت بها الجزائر في العصر الحديث ، فقد كان له دور فعال في توحيد الصفوف ضد المستعمر ،كما يؤول إليها الفضل في تطهير المجتمع من البدع و الخرافات.

- استفاد الشعر الإصلاحي من الدين و انساق وراء القصيدة الكلاسيكية القديمة ، و يظهر هذا بصورة جلية في قصائد الزاهري و العقبي و محمد العيد .

- ناد الشعراء الإصلاح بالرجوع إلى الدين بوصفه ركيزة من ركائز الأمة وعاملا مؤثرا في الحياة ، فهو تضمن الدعوة إلى عالم تسوده الحرية و العدالة الاجتماعية و يرفض التنكر للدين و الوطن و العروبة و يحرض الأمة ضد المستعمر و هذا ما احتوته أشعار محمد العيد و الزاهري و العقبي .

قائمة المصادر

و المراجع

المصادر و المراجع :

– القرآن الكريم

أولا :المصادر:

– أحمد سحنون : الديوان منشورات الحبر ، ج2 ، الجزائر ، ط1، 2007.

– أحمد سحنون: الديوان ، منشورات الحبر ، ج1 ، الجزائر ،ط2 ، 2007.

–محمد العيد آ ل خليفة : الديوان ، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، دت .

–مفدي زكريا : اللهب المقدس ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، دط ، 2007.

ثانيا : المراجع :

أ– المراجع بالعربية :

– أبو القاسم سعد الله : أفكار جامحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط، 1988.

– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1998.

– أبو القاسم سعد الله : محمد العيد رائد الشعر الجزائري في الجزائر ، دار المعارف ،مصر ، ط2، 1975..

– أحمد الخطيب : جمعية العلماء المسلمين و أصرها في الجزائر ، المؤسسة للكتاب ، الجزائر ،دط ،1985 .

– أحمد الطويلي : في الإصلاح والحنين إلى الأوطان دار بوسلامة ، تونس ، ط4، 1984.

– أحمد الطيب العقبي : ج ع م ج و أثرها في الجزائر ، المؤسسة للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1985.

– أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، مصر ، ط3،د ت.

– أحمد بن حسين الزّوزني : شرح المعلقات السبع ، دار أحياء التراث العربي ، ط1 ، 2002.

– أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج2، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، ط1، 1978.

- أحمد عيساوي : الفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي ، الملتقى الوطني الرابع للفكر الإصلاحي في الجزائر ،الجمعية الثقافية للعربي التبسي ، د ط،د ت .
- أحمد مريوش : الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر،دط،2007.
- أحمد مريوش : دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديثة المعاصرة ، ج1 ، مؤسسة كنوز الحكمة ،الجزائر ، ط1، 2013.
- بشير بلاح : مواقف الحركة الاصلاحية من الثقافة الفرنسية 1926-1939 ، عالم المعرفة ، الجزائر ، دط ، دت .
- تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ، دار موقم للنشر ، الجزائر ،ط2 ،2009.
- الجيلالي ضيف : بناة الطيب العقبي ،وزارة الثقافة للنشر والتوزيع ،الجلفة ،الجزائر ، د ط ، 2013.
- رمضان حمود : بذور الحياة مكتبة الإستقامة ، الجزائر ، دط ، دت.
- سعد الدين صالح ، احذروا الأساليب الحديثة ،في مواجهة الإسلام ، مكتبة رحاب ، دط ، دت.
- صالح خرفي : الشعر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1984.
- صالح خرفي : سلسلة في الأدب الجزائري الحديث ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1966.
- صالح خرفي : شعر المقاومة الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، دط ، دت.
- صالح خرفي : شعراء من الجزائر ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، القاهرة ، دط ، 1969.
- صالح خرفي : صفحات من تاريخ الجزائر ، دراسات و مقالات 1962-1972 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 1973.
- صالح خرفي : محمد السعيد الزاهري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1986.
- صالح خرفي : محمد العيد آل خليفة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،دط ، 1986.

- صالح خرفي ، رمضان حمود حياته و آثاره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1985.

عبد الكريم أبو الصفصاف : جمعية العلماء المسلمين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى1931-1954 ، ج2 ،دار المعرفة ، الجزائر ،دط ، 2010.

- عبد الله الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث ،ج2 ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، 1980.
- عبد الله الركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ط3 ، 1977.
- العربي الزبيري : المثقفون و الثورة ،المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر ، الجزائر ، دط ، 1955.
- علي مراد : الحركة الإصلاحية في الجزائر 1925-1940 ، ج2 ،دار الحكمة ،ط2 ، د ت.
- عمر أحمد بوقرقورة : دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، د ط ، د ت .
- عمر بن قينة : دراسات في الأدب الجزائري ، ديوان الطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1995.
- كمال عجالي : الشيخ الطيب العقبي وديوانه ، المجلة الخلدونية دار الطباعة و النشر ، الجزائر ،دط ، 2006.
- كمال عجالي : الفكر الإصلاحي في الجزائر الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة و التجديد ، دار النشر للنشر و التوزيع ، د ط ، 2005.
- مجموعة من المؤلفين : توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث ، منشورات مخبر الأدب العربي القديم و الحديث ، عنابة ، الجزائر ،ط1 ، 2007 .
- مجموعة مؤلفين : المنجد في الأعلام ، دار الشرق ، بيروت ، ط 23 ، 2001 .
- محمد الصالح الجابري : النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين 1900-1962 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، د ط ، 1989 .
- محمد الصالح الجابري : قضايا الأدب الجزائري الحديث ، دار الجبل ، ط1 ، 2005.

- محمد الصالح الصديق : شخصيات و مواقف ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1992.
- محمد الصالح رمضان : جمعية العلماء و دورها العقائدي و الاجتماعي و الثقافي ، مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة و السياحة ، الجزائر ، دط ، 1983.
- محمد الصديق المنشاوي : علموا أولادكم أخلاق الرسول ، دار الفضيلة ، الشراقة ، الجزائر ، دط ، دت
- محمد الطاهر فضلاء : الحركة الوطنية الجزائري 1930-1945 ، ج3 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط3 ، 1986
- محمد الطيب العلوي : مظاهر المقاومة الجزائرية ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، ط1 ، 1985 .
- محمد العيد آل خليفة :الديوان ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،د ط،د ت.
- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ، دار بهاء الدين ، قسنطسنة ، الجزائر ، ط2 ، الجزائر ، 2007 .
- محمد الهادي الزاهري السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج2 ، دار بهاء الدين ، قسنطينة ، الجزائر ، ط1 ، 2007.
- محمد بن سمينة : محمد العيد آل خليفة ، دراسة تحليلة لحياته ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، دت.
- محمد بن عبد الرحمان الربيع : الاتجاه الإسلامي في شعر محمد العيد آل خليفة ، مكتبة المعارف ، الرياض ،المملكة العربية السعدية ، ط1 ، 1986 .
- محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ،ج2 ، دار الثقافة العربية ، الجزائر ، دط ، 2007. ، تونس دط ، 1928.
- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته و خصائصه الفنية1925-1975 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1983.

- محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها و تطورها واعلبامها 1903-1931 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، دط ، 1978 .
- محمد ناصر : رمضان حمود حياته وآثاره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط2 ، 1985.
- محمد ناصر بوحجام : أثر القرآن الكريم في الشعر الجزائري الحديث ،1925-1976 ، ج1 ، الجزائر ، ط1 ، دت .
- محمود أبو عبد الرحمان : آثار الشيخ مبارك الميلي ، دار رشيد ، الجزائر ، دط ، 2012 .
- مشري بن خليفة ، الشعرية العربية ومرجعياتها و ابدالاتها النصية ، دار حامد للنشر و التوزيع ، عمان ، دط ، 2010.
- نور الدين أبو لحية : جمعية العلماء المسلمين و الطرق الصوفية و تاريخ العلاقة بينهما ، دار الأنوار للنشر و التوزيع ، ط2 ، 2016.
- نور سليمان : الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1988.
- النوري حمو بن محمد : الإصلاح والمصلحون ، المطبعة العربية ،د ط،د ت .
- الوناس الحواس : نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927 -1954 ، مؤسسة كنوز الحكمة الجزائر ،د ط ،2013.
- الوناس شعباني : تطور الشعر الجزائري الحديث من 1954 – 1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، دط،1988.

ب –المعاجم و الموسوعات :

- ابن منظور : لسان العرب ، ج1 ، مادة ص ل ح ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت .
- عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، ط2 ، 1980.

- أحمد العياضي : الشعر الجزائري الحديث ، مطبوعة علمية ، كلية الآداب و اللغات ، قسم الآداب و اللغة العربية ،جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف.

ج –الأطروحات و الرسائل الجامعية :

- خالد أقيس : بنية الخطاب في شعر الحركة الإصلاحية الجزائرية الشهاب نموذجا ، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي الحديث ، كلية الآداب و اللغات ، قسم الآداب و اللغة العربية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2015-2016.
- سومية بوسعيد : قضايا الوطنية من خلال الصحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البصائر نموذجا ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، قسم التاريخ ، جامعة سيدي بلعباس ، 2004.
- عبد القادر قوبع : الحركة الإصلاحية ي منطقتي الزيبان و بني ميزاب بين سنتي 1925-1954 ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2007-2008.
- كمال عجالي : الطيب العقبي أديبا ، أطروحة دكتوراه ، معهد اللغة والأدب العربي ، جامعة قسنطينة ، 1997-1998.
- محمد بك : محمد الأمين العمودي ودوره في الاصلاح من خلال جريدة الدفاع ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ و علم الآثار ، جامعة لخضر الحاج ، باتنة ، 2008-2009.

د –الجرائد و الصحف :

- الطيب العقبي : الدين و الاجتماع ، جريدة النتقد ، العدد 6 ، أوث 1925.
- الطيب العقبي : إلى الدين الخاص ، جريدة المنتقد ، العدد 8 ،1925 .
- الطيب العقبي :لحيّ الله أهل الغي ، جريدة البرق ، العدد 12 ، 23 ماي 1927.
- محمد السعيد الزاهري : تحية الإصلاح ، جريدة الشهاب ، العدد 16 ، أوث 1928

فهرس

الموضوعات

الفهرس

مقدمة ..... ا – د

الفصل الأول : الاتجاه الاصلاحي في الشعر الجزائري الحديث النشأة و التطور .....8 - 65

تمهيد ..... 8 - 11

المبحث الأول : حركة الاصلاح في الشعر الجزائري الحديث 8-25

أولا : مفهوم الاصلاح و الحركة الإصلاحية .....12 - 15

1-مفهوم الاصلاح 12

1-1-لغة ..... 12 - 13

1-2- اصطلاحا .....13 - 14

2-مفهوم الحركة الإصلاحية 14-15

ثانيا : العوامل التي ساعدت في ظهورها 15-17

1- الظروف الدينية والاجتماعية والسياسية 16

2- ظهور الحركة الإصلاحية ..... 16 -17

ثالثا : تجليات الفكر الاصلاحي في الشعر الجزائري الحديث..... 17 -18

1. المجال الاجتماعي ..... 17 -18

2-المجال السياسي 18

رابعا : ارتباط الشعر بالفكر الاصلاحي 19-20

خامسا : نظرة الاصلاحيين للشعر في الجزائر 21-24

1-نظرة الإصلاحيين المحافظين 21

2-نظرة الإصلاحيين المجددين 22

المبحث الثاني : الشعر الاصلاحي الجزائري الحديث ..... 25 -65

أولا : نشأته 25-30

ثانيا : رواده 30-32

ثالثا : موضوعاته..... 32 -54

1-محاربة البدع و الخرافات.....32 -37

2-محاربة المستعمر .....37 - 40

3- العروبة و الإسلام .....40 - 44

4-الحث على العلم .....44 -49

5-محاربة الآفات الاجتماعية .....50 -54

رابعا : خصائص الشعر الإصلاحي .....54 -65

1-اللغة الشعرية 55-59

2- الصورة الشعرية ..... 59 -62

3- الموسيقى الشعرية 63-64

4- طغيان النبرة الخطابية 64

5- التأثر الشعراء بالقرآن الكريم في أسلوبهم.....64-65

الفصل الثاني : تجليات النزعة الاصلاحية في الشعر الجزائري الحديث 68-159

المبحث الأول : تجليات النزعة الاصلاحية في شعر محمد العيد آل خليفة..... 68-107

أولا : التعريف بمحمد العيد آل خليفة.....68

ثانيا : نزعته الإصلاحية..... 69-75

ثالثا : موضوعات شعره الإصلاحي 76-104

1-محاربة البدع و الخرافات 76-78

2- محاربة المستعمر 78-80

3- العروبة و الإسلام 81-89

4- الحث على العلم 89-95

5- محاربة الآفات الاجتماعية 95-104

رابعا : خصائص شعره الإصلاحي 104-107

المبحث الثاني : تجليات النزعة الاصلاحية في شعر محمد السعيد الزاهري و الطيب العقبي 107-159

أولا : التعريف بمحمد السعيد الزاهري و نزعته الإصلاحية 108-108

1-التعريف بمحمد السعيد الزاهري 107-108

2-نزعته الإصلاحية 108-110

ثانيا : موضوعات و خصائص شعر الزاهري الإصلاحي 111-133

1-موضوعات شعر الزاهري الإصلاحية 111-128

1-1-محاربة البدع و الخرافات 111-117

1-2-محاربة المستعمر .....117 - 119

1-3- العروبة و الإسلام .....120 -122

1-4- الحث على العلم .....122 -125.

1-5- محاربة الآفات الاجتماعية .....125 - 128

2- خصائص شعر الزاهري الإصلاحية 128-133

ثالثا : التعريف بالطيب العقبي و نزعته الإصلاحية 133-141

1-التعريف بالطيب العقبي 133-135

2-نزعته الاصلاحية 135-141

رابعا : موضوعات و خصائص شعر العقبي الإصلاحي 141-159

1-موضوعات شعر العقبي الإصلاحي 141-156

1-1-محاربة البدع و الخرافات 141-148

1-2- محاربة المستعمر 149-150

1-3- العروبة و الإسلام 150-153

1-4- الحث على العلم.....153-155

1-5- محاربة الآفات الاجتماعية 155-156

2-خصائص شعر العقبي الإصلاحي 157-159

خاتمة .....161.

قائمة المصادر و المراجع .....163 - 168

الفهرس 170-173

ملخص الدراسة .

ملخص الدراسة :

تتناول هذه الدراسة لمحة عن الشعر الجزائري الحديث في ظل الاستعمار الفرنسي بالجزائر و بالخصوص الشعر الإصلاحي ، حيث سعت هذه الدراسة رصد دور رجال الإصلاح في التصدي لأساليب المستعمر الغاشم و سياسته التي يفرضها الشعب الجزائري و التي يحاول من خلالها القضاء على المقومات الوطنية الجزائرية ، فقط تطرقنا فيها إلى الحديث عن بعض رجال العلم الذين تبنوا الفكر على الإصلاحي و دعوا إلى الإصلاح السياسي و الثقافي و الديني و الاجتماعي ...الخ ، و ذلك عن طريق إبراز جهودهم الإصلاحية في مختلف الميادين من أجل إحداث تغيير جذري في بنية المجتمع و إصلاح مال آل إليه إبان الحقبة الاستعمارية ، كما تحدثنا عن أكثر الشعراء الجزائريين دفاعا عن الحركة الإصلاحية و ذلك من خلال تبنينا لنماذج شعرية جزائرية إصلاحية أبرزنا من خلالها نشاطهم المكثف في أنحاء مختلفة من الجزائر ، فهذه الدراسة أعطتنا صورة واضحة عن الواقع السياسي و الثقافي و الاجتماعي و الديني ...في الجزائر و أبرزت لنا مواقف شعراء الحركة الإصلاحية من بعض القضايا التي حاول المحتل من خلالها إلى مسخ الهوية الجزائرية و القضاء عليها .

Abstract:

This study deal with an over view of modern Algerian poetry in light of French colonization of Algeria , in particular reformist poetry , talking about some men of knowledge who adopted reformist thought and called for political , cultural ,religious and social reform , by lughlig thing their reform efforts in various fields in order to bring about fundamental change in the structure oh society and reform what happened to it during the colonial era , we also talked about the most Algerian poets in defense of the reform movement , through our adoption of reformist Algerian poetic models , through which we highly- hted their intense activity in various parts of Algeria the cases through which the occupier tried to erase and eliminate the Algerian identity